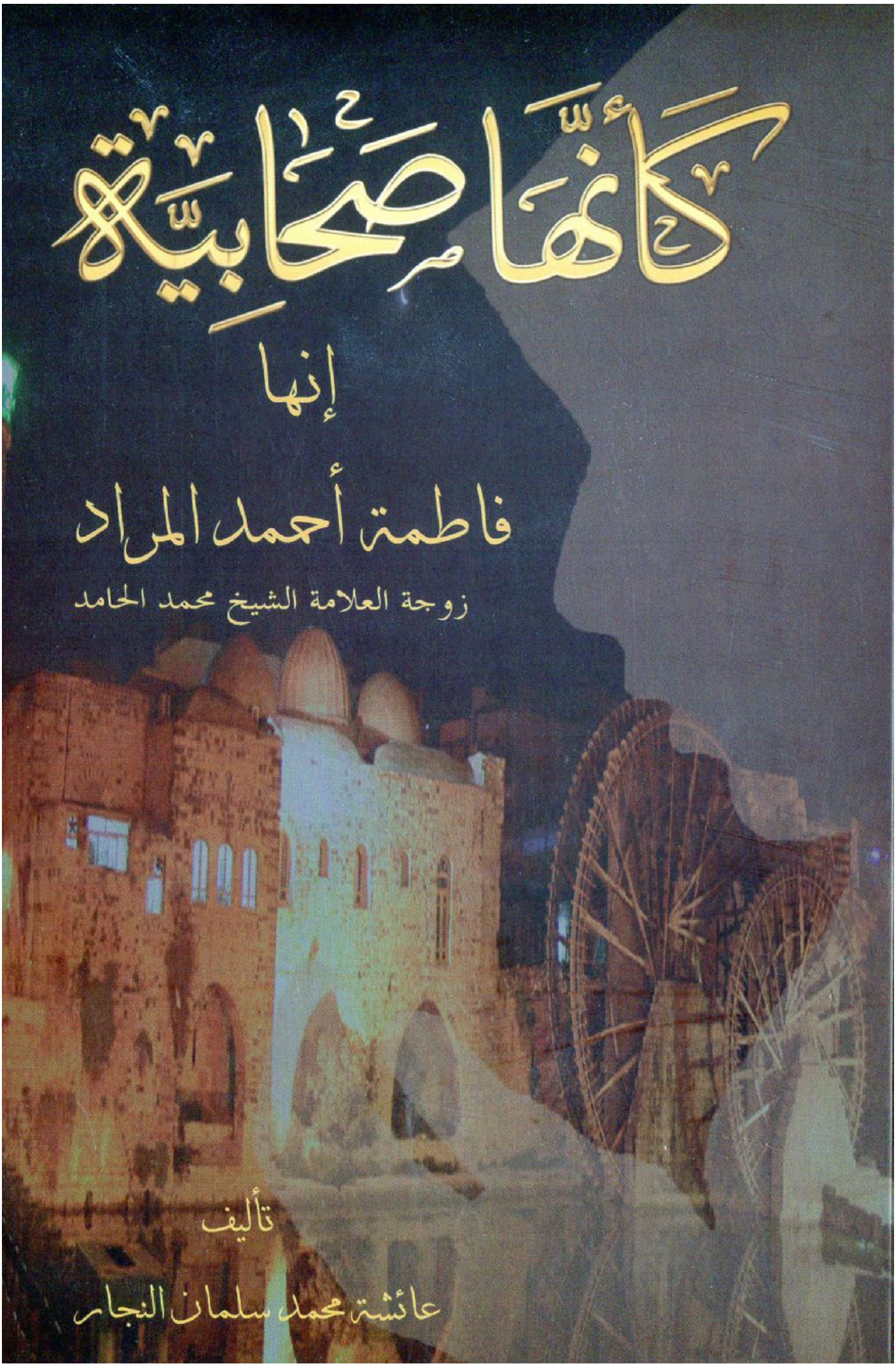
كأنها صحابية
إنها
فاطمة أحمد المراد
زوجة العلامة الشيخ محمد الحامد
تأليف
عائشة محمد سلمان النجار

بسم الله الرحمن الرحيم

* مقدمة المؤلفة :

الحمد لله الذي أسعدَ قلوب عباده المتقين ، بنفحات منه يفيضها على قلوبهم بانشراح ومعرفة ويقين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبع هديه إلى يوم الدين.

تألمت كثيراً لفقدان جدتي الحاجة أم محمود الحامد – فاطمة أحمد المراد – رحمها الله ويعلم الله مدى حزني البالغ عليها ، ليس لأنها جدتي فحسب ولكن لفقد نموذج حي ، كانت رؤيته تذكرنا بالله سبحانه وتعالى ، كما ورد في الأثر: (خيركم إذا رؤي ذُكر الله) .(----------)

كما أننا فقدنا علمها وتوجيهاتها، إيمانها وروحانيتها، لطفها وأنسها ، دعاءها وحبها . لقد فقدنا عَلَماً ورمزاً للمرأة المسلمة التقية النقية ، والمصلحة الواعية.

بدأت قصتي مع هذه الرسالة الصغيرة في اليوم الثالث من العزاء، حيث ألقيتُ كلمة عن بعض صفاتها طيب الله ثراها، فتأثرت الحاضرات تأثراً جمّاً، وتركت صدىً طيباً وأثراًعميقاً في نفوسهن . فطلبت مني أخوات محبات فاضلات ، متشوقات إلى نهجها التوسع في سيرتها ونشرها، فراقت لي الفكرة وشرح الله صدري ويسرلي ما كتبت.

لم أكتب هذا بدافع أنها جدتي أو بدافع المحبة العاطفية فحسب – رغم افتخاري بحبي الشديد لها وتعلقي الكبير بها – ولكن ما دعاني لذلك المحبة الروحانية وروح الحرص على مربية جيل ومرشدته.

لقد افتقدت كثيرات وكثيرين آخرين من حولي ويعلم الله مدى حبي وتذكُّري لهم وذكر فضلهم علي ، ولكن لم أرَ ممن عايشتهم في مثل التزامها ، وسلوكها ، وأخلاقها ، وتجسيدها الحي لسلفنا الصالح. فكلنا يمر في محن وكرب وبلاء ، ولكن ما يرفعنا وينفعنا عند الله هو كيف نتلقى هذه الأقدار وهل نحسن التعامل معها ؟ وهذا مما رفع الأمة الإسلامية في القرون الأولى . وعلى درب أولئك الربانيين سارت هذه الشخصية الفذّة – رحمها الله – حيث كانت تُحوّل الإيمان إلى سلوك وعمل ، فإيمانها بالله طمأنينة ، ويقينها به سكينة ، والتقرب إليه بحسن الأخلاق والتعامل مع البرية. فسيرة أولئك تزكية لنفوسنا وإشراقات لأرواحنا ، ومنارات هدى نهتدي بها . لذا كان لا بد من كتابة بعض من سلوكياتها وصفاتها ونهجها كي لا تندرس سيرة هذه المرأة العالمة العاملة والمربية المرشدة ، ولتكون سيرتها دعوة للناس إلى الله ورسوله بالقدوة الحسنة والمنهج العملي .

ولكي نتعرف على سيرتها العطرة كان لا بد لنا أن نبيّن نسبها ، فهي من – آل المراد– المعروفة في مدينة حماة ، والتي اشتهرت فيها على مدى قرنين بالعلم والصلاح والإفتاء ، وقد ورثت عنهم العلم والتقى والصلاح . وتناولت شيئاً من سيرة آبائها العظام لما في ذلك من أثر كبير في نشأتها ، فولاية الآباء وصلاحهم تورّث إلى الأبناء بفضل الله ورعايته . وأفردت صفحات لزوجها الشيخ محمد الحامد ، لدوره الكبير في حياتها ، ورجعت في ذلك كلّه لبعض المراجع ، أهمها :

- أعلام الطريقة النقشبندية في بلاد الشام للأستاذ محمد زكريا المسعود ، وكتاب عن سيرة الشيخ أحمد المراد – لم ينشربعد – لحفيده الأستاذ ميسر المراد .
- وكتاب سلسلة أعلام المسلمين ١١ (العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد) للشيخ عبدالحميد طهماز – رحمه الله – ، وكتاب لولده الشيخ محمود الحامد (أبي كما عرفته)، بالإضافة إلى ما سمعته من جدتي وعائلتي عن أولئك الأبرار – رحمهم الله – .

وقد وجدت من خلال تتبعي لسيرة آبائها وأجدادها وإخوانها العلماء أنها حملت من بيئتها الأولى التي نشأت فيها العلم والفقه والاستقامة ، وزكت نفسها أكثر بزواجها من العلامة الشيخ محمد الحامد ، فكانت مثالاً حياً للسلف الصالح، وجسدا يمشي على الأرض وروحا معلقة في السماء ، ولقد أكرمني الله وشرفني بأن جعلني من المقربين منها فقد عشت معها في منزل واحد، فعرفت عنها ما لا يعرفه الآخرون لقربي منها وملازمتي لها ، لذا أردت أن أنقل بهذه الوريقات أبرز الصور التي شهدتها منذ حداثة سني إلى أن توفاها الله – تغمدها الله بواسع رحمته – ، إلى جانب ما سمعته عنها من والدتي وأخوالي والمقربين منها جزاهم الله خيراً . لأنقل الصورة المشرقة للمرأة المسلمة وما يجب أن تتحلى به في طريق الارتقاء في السير إلى الله سبحانه .

ومن خلال حديثي عن جدتي ساقني الحديث إلى ذكر بعض الشخصيات حولها، من الذين تربطني بهم صلة القرابة المباشرة أو غير المباشرة ، ولم أقصد بذكري سير حياتهم الإطراء عليهم أوكيل المديح لهم ، ولكن إظهار صور واقعية من النماذج الصالحة المعاصرة ، التي عرفتها أو شهدتها أو سمعت عنها من الأقربين . والدنيا فيها خير كثير ، لا يخلو منه عصر من العصور، موزع بين الناس جميعهم وعلى مر الدهور . يقول عليه الصلاة والسلام : " أُمتي أُمة مباركة ، لايدرى أولها خير أو آخرها " . (رواه ابن عساكر عن ابن عثمان مرسلا) .

أسال الله التوفيق والسداد وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم ويجعله بذرة طيبة ، لعملٍ أكبر إن شاء الله. مع رجاء الدعوة لي من الأفواه الطيبة.

الحفيدة والفقيرة إلى الله

عائشة محمد سلمان النجار

* تمهيد :

الحمد لله الذي جعل لنا في كل عصر أناساً صالحين ، يذكروننا سيرة الرسول الكريم ، ويعيدون لنا ذكرى أمهات المؤمنين ، ليكونوا منارة للعالمين ، متواصلين إلى يوم الدين . وهذا من رحمة الله بنا ليكون للإسلام نماذج متجددة ، وسلوكاً وأعمالاً بشريةً مجسدةً ، بعيداًعن النظريات المجردة ، والأقاويل المفندة ، يطبقه بحق من سبقت له من الله السعادة الحقيقة ، فلو كانت سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وجيل الصحابة الذين ربّاهم لم يُجدد سيرتُهم وسلوكُهم أحد؛ لانقطع الأمر وضعف الارتباط وقلَّ الاتباع ولأصبح الأمر مجرد قراءة وتصفح . ولكنه سبحانه يجعل لكل عصرٍ ووقتٍ راية يحملها عُدولها ومن هم كفءٌ لها، يقول تعالى: ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾. (القصص آية ٦٨) . وإنّ من يسلك هذا الطريق يحبه الله عزّ وجلّ، ويرزقه سبحانه الحكمة والإنابة ، فيؤثر الباقية على الفانية ، وينوّر له بصره وبصيرته ، ويصبر على أقدار الله ويحتسب ، فتكون سيرة أولئك نبراساً يُهتدى بهم ، وسلوكاً نتدارسه ونقتدي به ، يقول الله تعالى: ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾. (السجدة آية ٢٤) . فقد نهلوا من المدرسة المحمديّة وتمسكوا بهديه عليه الصلاة والسلام . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء، فقيل وما الغرباء؟ قال الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي والذين يحيون ما أماتوه من سنتي " . (أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة مختصراً وهو بتمامه عند الترمذي) ، من حديث عمر بن عوف وحسنه. وفي حديث آخر:" هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم ".

ولعلي لا أبعد عن الحقيقة إن قلت إن جدتي الفاضلة أم محمود – رحمها الله – من أولئك ، وقد كانت أمّنا جميعاً ومرشدتنا ومربيتنا، فهي العالمة ابنة العالم وزوجة العالم ، الفقيهة الربانية –

نحسبها كذلك ولا نزكي على الله أحد- . وأود أن نتذاكر بعضاً من سيرتها لأن في حياة الدعاة الصالحين كما ذكرنا خير وصلاح وهداية ، وفي سيرتهم موعظة وهداية .

كم حزعنّا لفراقها ؟ كيف لا والأرض تبكي على عباد الله الصالحين . يقول سيدنا علي كرم الله وجهه : (إذا مات العبد يبكي عليه مصلاه في الأرض ومصعد عمله من السماء) . ويقول ابن عباس رضي الله عنه : (تبكي عليه الأرض أربعين صباحاً)، وقال عطاء الخراساني : (ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت) . فكيف إذا كان هذا العبد الصالح عالماً مرشداً ؟ فقدنا علمه النافع، وعمله الصالح الذي يقودنا إلى الخير، فتكون خسارتنا مضاعفة لفقد مصابيح الهدى . يقول عليه الصلاة والسلام : " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فَسُئِلوا فأفتو بغير علم فضلوا وأضلوا ". (أخرجه البخاري) لقد أحببناها كثيراً، ونحسب أن الله أحبها وقبلها، فوضع لها المحبة والقبول في قلوبنا . عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال :" إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحببه ،فيحبه جبريل ،فينادي في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض ".(متفق عليه) ، فمن أحبه الله استخلفه على هذه المعمورة يصلح ويرشد بعلمه وعمله، ومكّنَ سبحانه له بأن يجعله مقبولاً عند الناس.

وحتى نترجم حبنا لها سلوكاً، نقف قليلاً عند سيرتها لنتبع نهجها وما كانت تدعو إليه و مسارعتها إلى رضى الله ورسوله ؛ لأن المحبة اتباع واقتداء، لعلّنا نفوز باتباعها ونكون معها، فقد عشنا في عصرها، حتى إذا التقيناها يوم الكربات شفعت لنا – إن شاء الله – لنكون في زمرتها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً بفضل من الله ومنة . ولا غرابة في ذلك فقد وردت أحاديث مختلفة في ذلك عن الرسول ، يقول عليه الصلاة والسلام : " إذا كان يوم القيامة

يقول الله سبحانه وتعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة ، فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل أنتم عندي كبعض ملائكتي ، اشفعوا تشفعوا ، فيشفعون ثم يدخلون الجنة ". (أخرجه أبوالعباس الذهبي في العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف) . وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام : " يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ". (رواه ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان بإسناد ضعيف) .

الفصل الأول

نشأتها الأولى

* اسمها ومكان ولادتها :

اسم جدتي الكامل: فاطمة – ولقبها يُسرى - بنت الشيخ أحمد بن الشيخ محمد سليم بن مراد آغا .

ولدت – رحمها الله – عام ١٩٢٢م في مدينة حماة ، إحدى المدن الرئيسة في بلاد الشام وسط سورية ، وتوصف هذه المدينة بأنها مدينة تاريخية جميلة ، ذات طابع ريفي ، مزدانة بالنواعير الغنّاء ، والبساتين الوارفة ، والأشجار الظليلة.

قال عنها ابن بطوطة – رحمه الله – : "حماة إحدى أمهات الشام الرفيعة ومدائنها البديعة ، ذات الحسن الرائق والجمال الفائق ، تحفها البساتين والجنات ، عليها النواعير كالأفلاك الدائرات ، يشقّها النهر العظيم المسمّى بالعاصي " .

وقال عنها ابن سعيد الأندلسي : " وفي حماة مَسحَةٌ أندلسية " . وهي مدينة عريقة تمتاز بالالتزام الديني ، وقد خرّجت هذه المدينة الكثير من العلماء الأفاضل.

* لمحة عن عائلة المراد :

يرجع أصل هذه العائلة إلى جدها الأكبر مراد آغا بن خالد آغا، الذي نزح من بلدته الأصلية (وان) جنوب شرق تركيا قبل نحو ٢٢٠عام ، وهو من العشيرة الزركية المتفرعة من المُلّية. وقد أتى مراد آغا مع الوالي العثماني الذي تم تعيينه على مدينة حماة – من قبل الدولة العثمانية حينها – فكان

ساعده الأيمن وقائده العسكري فيها، واتخذ مراد آغا من (حيّ الفراية) سكناً له في تلك المدينة التاريخية ، وبقي هذا السكن لذريته حتى الآن . وقد تزوج في حماة من أسرة كريمة منسوبة ذات علم شرعي، وهي أسرة المليح.

ومما روته جدتي رحمها الله لنا أن مراد آغا رأى رؤيا في منامه ، رأى عمائم بيضاء كثيرة تنثر أمامه ، فَفُسِّرت له هذه الرؤيا بأن سيكون من ذريته الكثير من العلماء . وقد شهدت هذه العمائم حقيقة واقعة بأُمِّ عيني ، منذ كنت طفلة ألهو في الحي، كنت أرى مجموعة من العلماء المعممين لأحفاده من آل المراد ، فقد أدركت معظم إخوتها وأبناءهم وأبناء أعمامها . وسبب شهرة العائلة المرادية هو الشيخ (محمد سليم المراد بن مراد آغا)، وهو والد والد جدتي رحمهم الله ، بسبب علمه وصلاحه ، وهو أول من طلب العلم الشرعي من آل المراد ، وهو جد آل المراد الآن الذين هم أهل العلم والفضل في مدينة حماة . وسأتحدث قليلاً عن آباء جدتي قبل حديثي عن جدتي ، فصلاح الآباء يصنع وينفع الأبناء. وستكون ترجمة هؤلاء السادة الكرام – نور الله ضريحهم جميعاً – من كتاب أعلام الطريقة النقشبندية في بلاد الشام المباركة ، وسيرة الشيخ أحمد المراد لأحد أحفاده.

* الشيخ محمد سليم المراد : (والد والد جدتي)

عاش هذا العالم عيشة الكفاح ، وتعلم الكتابة على جرّة من الفخار، فكلما امتلأت من الكتابة محاها وأعاد الكتابة حتى تعلّم ، وأصبح – قدّس الله سرّه – عالما جليلاً، ومرشداً فاضلاً أفاض الله على يديه العلم والتحقيق ، والطريق والتدقيق ، وكان يعدّ من علماء حماة المعدودين . وكان يشتغل بالذكر دائماً ، حتى كان له مجرى للدمع على خديه لكثرة البكاء ، وقد أخذ الطريقة النقشبندية ، والطريقة الرفاعية ، والطريقة القادرية ، والطريقة البدوية على يد أكابر هذه الطرق .

كان الشيخ سليم المراد يصلي إماماً في جامع الأربعين في حي البرازية في حماة ثم انتقل إلى الجامع الجديد، وكان العالم كحاكم في محكمة، إلاّ أنه في المسجد فهو مرجع لحل مشاكل الناس من ذكور وإناث.

ولد للشيخ سليم المراد عدة أولاد ولكن الذين نبغوا وأصبحوا علماء هم :

- الشيخ محمد علي ، عم جدتي .

- والشيخ أحمد ، والد جدتي .

سأتحدث عن الشيخ محمد علي أخ الشيخ أحمد لأبيه ، قبل أن أتحدث عن الشيخ أحمد لأن جدتي - عليها وعليهم جميعاً رحمة الله ورضوانه - حدثتنا أن الشيخ محمد علي كان بمثابة الوالد لوالد جدتي ، إذ كان المربي والمرشد والشيخ له بعد وفاة والدهم الشيخ سليم ، حيث كان الشيخ محمد علي يكبر أخيه لأبيه الشيخ أحمد بنحو أربعين عاما ، رحم الله أرواحهم الطاهرة أجمعين.

* الشيخ محمد علي ابن الشيخ سليم المراد :

هو العالم العامل والمرشد والولي الفاضل والشيخ محمد علي بن الشيخ محمد سليم المراد . تلقى العلم تعلماً وتدقيقاً ودراسةً وتحقيقاً وإجازةً عن والده الشيخ محمد سليم المراد . وتلقى علوم الحديث الشريف والفقه والنحو والتفسير والتصوف من والده أيضاً ومن علماء أفاضل آخرين في عصره من بلاد متعددة ، وحاز على إجازات عديدة منهم.

كان الشيخ محمد علي جبلاً راسخاً في العلم ، وفي الفتوى إليه المرجع ، وعنده يقف أهل البحث والتدقيق . وقد تولّى الشيخ محمد علي تربية إخوانه وأخواته بعد وفاة أبيه ، واعتنى بأخيه

لأبيه الشيخ أحمد – والد جدتي – خاصة ، بناءً على وصية والده الشيخ سليم له قبل موته – رحمه الله – فقد قال له : " أوصيك بأخيك أحمد فإنه من البقية أو من بقية السلف " . تخرَّج على يده كثير من طلاب العلم منهم أخوه الشيخ أحمد المراد ابن الشيخ سليم والذي أصبح أمين فتوى مدينة حماة بعد وفاة أمينها، حيث تولى تربيته وتعليمه حتى الوفاة.

بقي الشيخ محمد علي رحمه الله في خدمة الإسلام والعلم والفتوى والمسلمين إلى أن توفاه الله عام ١٩٢٤م ، ودفن بجانب والده الشيخ سليم المراد في مقبرة باب البلد المندرسة الآن ، وقد ترك خلفه للأمة أربعة أبناء علماء صالحين.

* الشيخ أحمد ابن الشيخ سليم المراد : (والد جدتي)

يقول صاحب كتاب أعلام الطريقة النقشبندية في ترجمة سيرة هذا العالم : " هو علامة حماة وقطبها، وفردها الفاضل ، من ألقت إليه العلوم زمامها ، وخضعت الفتوى إليه بمشكلاتها ، العالم المتواضع ، والذاكر الخاشع، رضع لبان العلم من علماء حماة ومشايخها ، اشتهر رحمه الله بولاية العلم والفضل والكمال والتواضع الجم ، حتى كان يقال إنه من الأبدال " .

* نشأته وتربيته :

ولد الشيخ أحمد بن الشيخ سليم المراد من أبوين صالِحَين ، أما الوالد فهو الشيخ سليم المراد أحد الشيوخ والعلماء الكبار، والمرجع الإسلامي الكبير في الفقه والفتوى . وأما الوالدة فهي فاطمة بنت عمر الشحيمة – جدة جدتي – المرأة الصالحة التي رأت ليلة القدر ، ودعت لذريتها بالستر ، وكان عمر الشيخ أحمد يوم وفاة والده الشيخ سليم عشر سنوات تقريبا، وقد تولى تربيته أخوه من أبيه الشيخ محمد علي المراد الذي كان من أكابر الشيوخ في العلم والفقه والفتوى على الإمام أبي حنيفة ، فقرأ الشيخ أحمد على أخيه لأبيه الشيخ محمد علي العلوم العديدة.

* أخلاقه وصفاته :

كان الشيخ أحمد – رحمه الله – زاهداً في الدنيا، مجاهداً لنفسه، مثال العفة ، لا يعبأ بطعام ولا شراب ، فإذا فرغ من أعماله أو دروسه أكل ما تيسر في أي ساعة كانت. وكان إذا جلس للطعام لايجلس كما يجلس الآخرون ويرتاح في الجلوس ، بل يجلس القرفصاء وينقر نقر العصفور، لذا بقي جسمه نحيفاً .

كان رحمه الله متواضعاً، لطيفاً، رقيقاً، لايرى إلا صامتاً أوذاكراً أومذاكراً في علم ، لا تعرف الغيبة والنميمة في مجلسه . لا يقصر عن خدمة أحد ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، عرفه أولم يعرفه.

وكان في سلوكه وأخلاقه يمثّل السلف الصالح ، يتوسم ذلك فيه كل من رآه ، لا يتكلّف في ذلك ولايتصنّع ، بل بعيداًعن ذلك كل البعد . وكان الشيخ أحمد مثال الأدب والتواضع مع أخيه الشيخ محمد علي وأولاد أخيه ، وروي عن العالم المربي الشيخ موسى الحلفاوي في كتاب أعلام الطريقة النقشبندية – أحد تلامذة الشيخ محمد علي– أنه كان يثني على الشيخ أحمد بقوله : (مارأيت طالب علم أكثر أدباً واحتراماً لشيخه مثل الشيخ أحمد مع أخيه وشيخه الشيخ محمد علي

المراد) . وبقي ملازماً لأخيه ، مستفيدا منه ، خادماً له مع أنه استلم الشعائر الدينية في جامع المسعود بحماة ، حتى وفاة أخيه لأبيه وشيخه الشيخ محمد علي قدّس الله سرهم جميعاً .

* علمه :

كان الشيخ أحمد جبلاً في العلم ، وآية في التواضع والحلم ، وقمة في مكارم الأخلاق والتحلي بالشمائل النبوية، والسلوكيات المحمدية ، وقد تلقّى علوم الحديث والفقه من علماء عصره الأفاضل ، بالإضافه إلى أخيه الشيخ محمد علي الذي أعطاه جميع الإجازات التي أخذها من والده ومشايخه . ونقل إلينا صاحب كتاب أعلام النقشبندية ما قاله الشيخ محمد الحامد عنه :

يقول الشيخ محمد الحامد – رحمه الله – : " ومنهم فضيلة عمي والد زوجتي الأستاذ الفقيه الحنفي الحُجة العالم العامل التقي الورع الزاهد في الدنيا شمس علماء حماة وبدر شيوخها الشيخ أحمد المراد – رحمه الله وبارك عليه – ، إنه من شيوخي الذين لهم عليَّ فضل التربية والتعليم ، وقد أكرمني الله فجعلني صهراً له على ابنته ، وقد كان هذا قبل أن يكون لي مورد رسمي ومنزل آوي إليه ، ولكنه التوكل على الله سبحانه والإيمان والوثوق بما عنده ، كانت الفتوى في حماة وقراها تدور عليه وترجع إليه ، فقد كان أمين الإفتاء ، ولم تصدر عنه فتوى غير صحيحة ، وقد قال فيه سماحة العالم الجليل مفتي الشام الأستاذ محمد شكري الأسطواني – رحمه الله تعالى – : " عنه تؤخذ الفتوى " . انتهى كلام الشيخ محمد الحامد .

* سلوكه وهديه :

كان الشيخ أحمد شغله في السفر قراءة القرآن والأدعيه المأثورة ، ويسأل من معه إذا كان من الطلاب أسئلة شرعية ، أو يعلمه إذا جهل مسألة في الميراث أو النحو أو الفقه ، فيستفيد المرافق ويشغل وقته بالذكر والتعليم.

بعد وفاة الشيخ سعيد الجابي الذي كان يشغل وظيفة مدرس عام في الأوقاف ، قام شقيقه القاضي الشيخ محمد خير الجابي وعرض على الشيخ أحمد الوظيفة لكن الشيخ رفض وقال : لا أدخل وظيفة حكومية ، وبعد إلحاح شديد وافق الشيخ وعيّن مدرساً عاماً فكان يدرّس في جامع (البحصة) الذي يقع في منطقة الحاضر البعيدة عن بيته ، وفي نهاية الشهر كان يستلم الراتب ويذهب فيعطيه لزوجة الشيخ سعيد الجابي ، وبقي على هذه الحالة سنين طويلة إلى أن توفيت.

كانت له زيارات دورية لكل أسرة مرادية من أجل التعليم، فيجتمع لديه النساء والأولاد ويذاكرهم جميعا، وكان قمةً في صلة الأرحام والأقرباء وأصحاب أخيه وأبيه ، وكان – نوّر الله ضريحه – من أكابر الشيوخ في العلم والفقه والفتوى على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ينشر علمه في كل مجلس يجلسه ، وذلك في العقيدة ، وأركان الإسلام ، ومايتعلق بالصلاة ، من أحكام وآداب وشروط وواجبات ، وسنن ومستحبات ، ومكروهات ومفسدات وغير ذلك.

* كراماته :

للعالم الشيخ أحمد – قدس الله روحه – كرامات عديدة أذكرمنها :

- أن الله سبحانه أعطاه مكاشفة يعرف فيها الشخص الذي يأتيه لأول مرة إن كان من المصلّين أم لا، فكان يقول له أنت لا تصلي ، ويكتفي بالسلام عليه دون مصافحته .
- وحدث مرةً أن امرأة من قرية الرستن المجاورة لحماة كانت تعمل في أرضها ومعها طفلها الرضيع، فهبت عاصفة قوية ، وبعدما هدأت العاصفة نظرت فلم تجد ولدها، وبحثت في تلك المنطقة فلم تجد شيئاً، فتوجهت ومعها زوجها إلى الشيخ أحمد في حماة ، فلما وصلا إليه وسلَّما عليه ، قال لهما " أنتما لا تصليان! " فأقرا بذلك ، فنصحهما وذكَّرهما بالله وبعذابه وعقابه ، ثم أخبراه الخبر ، فأمرهما أن يذهبا إلى المكان نفسه ومعهما عدد من الناس ، وكل جماعة تذهب في جهة وهم يؤذنون ويكبرون ، ففعلوا فوجدوا الطفل في حفرة من الحفر والحمد لله.
- ومرة كان ولده الشيخ محمد بشير في زيارة لأحد أصحابه – الحاج عمر اللجمي – بدمشق ، الذي اهتم بجمع صور علماء بيت الشيخ سليم ، وكان معه صديق له من وجهاء سلمية – الحاج خالد الجرف – وكان ممن جاهد ضد الفرنسيين ، فلما رأى الصور وهي معلقة أشار إلى صورة الشيخ أحمد وقال : "هذا الشيخ كان يجاهد معنا أثناء المعارك التي دارت مع الفرنسيين " ، فالتفت إليه الشيخ بشير مستغرباً قائلاً : " هذا والدي! "، فأكد الرجل ذلك وأنه كان يراه في الجهاد معهم ، وحينما رُوي الخبر لأهل بيته قالوا: كنا نراه جالساً وهو مستغرق في الذكر والعبادة والاتصال مع الله تعالى والدعاء للمجاهدين وذلك أثناء الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي ، فأيقن الجميع أنها كرامة للشيخ أحمد الذي كان في وقت لا يقوى فيه على الجهاد لكبر سنه رحمه الله.

* وفاته :

توفي الشيخ أحمد المراد عن عمر يناهز الثالثة والثمانين بحماة في بيت ولده الكبير الشيخ عبد العزيز، وكان الوقت ضحى ، شعر بضيق في صدره ، فنادى ولده الشيخ محمد بشير – وكان يناديه ياحج بشير – فأمسك بيده وجعل يدور بالغرفة وهو يقول : (آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) . وصار يكررها مراراً ، ثم جلس ووضع رأسه على صدر ولده ، ثم فاضت روحه الشريفة إلى بارئها، وذلك في ذي الحجة من سنة ١٣٧٩هـ –١٩٦٠م .

وقد ذكر الدكتور عبدالرزاق الكيلاني رحمه الله في كتابه (ترجمة الشيخ محمد مرتضى الكيلاني) ، أنه سمع من الشيخ محمد مرتضى هذه القصة.

قال الشيخ محمد مرتضى : (حججت في سنة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م وبينما أنا في المدينة المنورة وقبل ذهابي إلى مكة المكرمة رأيت رؤيا في نومي ، رأيتني جالسا في المسجد النبوي الشريف أقرأ القرآن ، وإذا بجماعة نورانية تدخل المسجد حاملة جنازة لكي يصلي عليها الإمام في المسجد، فسألت : من صاحب هذه الجنازة ؟ فقالوا : الشيخ أحمد سليم المراد ، وقد توفي الليلة في حماة ، وجئنا به لنصلي عليه هنا ثم تنبهت من نومي وذهبت إلى المسجد النبوي الشريف ، وقلت لرفاقي: إن الشيخ عبدالعزيز المراد لن يحج هذا العام – وكان من عادته أن يحج كل عام – فسألوني لماذا ؟ فقلت لأن والده الشيخ أحمد قد توفي ، وفعلاً جاء الخبر بعد بضعة أيام بوفاة الشيخ أحمد المراد في اليوم نفسه الذي رأيت الرؤيا فيه ، وأن ابنه الشيخ عبدالعزيز لن يستطيع الحج في هذا العام لفوات موعد سفر الطائرة عليه) .

قال الدكتورالكيلاني رحمه الله معلقاً عليها: " وتدل هذه القصة على كرامة الشيخين ، الشيخ محمد مرتضى الكيلاني الذي رأى الرؤيا في نفس يوم الوفاة ، والشيخ أحمد المراد الذي نقلت

جنازته – ولو رمزاً – إلى المسجد النبوي الشريف ليُصلى عليها فيه " . وقد أنجب العالم الشيخ أحمد أنجالاً من أهل العلم والفضل ، هم : الشيخ عبد العزيز ، الشيخ محمد سيادي ، الشيخ محمد بشير.

بعد أن تكلمنا عن آباء جدتي – جعلهم الله جميعاً في عليين – نعود فنكمل عنها، وكيف نشأت رحمها الله.

* نشأة جدتي :

كنت قد ذكرت أن جدتي – رحمها الله – نشأت في بيتِ علمٍ وأدبٍ وفقه ، فهي ابنة العالم الفقيه الصالح الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد سليم المراد، ووالدتها السيدة الصالحة آمنة المليح بنت الشيخ العالم محمد المليح . وكان ترتيبها بين إخوتها الأخيرة أصغرهن . ولننظر ماذا أنجب هذا البيت الرباني وكيف بارك الله فيه :

- أخوها الأكبر الشيخ عبدالعزيز ، أمين فتوى حماة ، وقد اشتهر في علم الميراث وأصوله، وكان لديه جداول حسابية تيسر تطبيق هذه المسائل الشرعية بدقة ويسر، وكان المرجع في ذلك ، وأبناؤه جميعهم أهل علم وفضل ، منهم الشيخ العالم محمد مصطفى المراد زوج خالتي رحمها الله.
- يلي الشيخ عبد العزيز شقيقه الشيخ محمد سيادي المراد

(توفي عام ١٩٧٧م) حصل على الشهادة العالمية في القضاء من الأزهر، وعمل قاضيا في عدة محافظات في سورية إلى أن انتقل إلى وزارة الأوقاف وشغل منصب مدير التعليم فيها .

- تليه شقيقته الحاجة مسرّة المراد (توفيت عام ١٩٨٨م) العابدة الزاهدة التقية الصالحة . عندما كنت في حماة كنت دائمة الزيارة لها، قلّما يأتي يوم إلا وأراها فيه واستمتع بمجالستها، كانت رحمها الله امرأة أنيسة رقيقةً ودودة زاهدة مقلةً في الكلام ، دائمة الابتسام ، تكرم الضيف ، وقد كانت تكرمني كأني واحدة من حفيداتها، وكانت قمة في اللطف والتواضع والسكينة والعبادة.

- يليها الشيخ محمد بشيرالمراد (توفي عام ١٩٨٢م) الذي أكمل تحصيله من الأزهر ثم عيّن أستاذاً للتربية الإسلامية ثمّ قاضياً شرعياً ثمّ استلم مؤخراً إفتاء حماة ، وكانت له حلقات علمية يدرّس فيها العلوم الشرعية.
- وتليه جدتي التي كانت خاتمة العقد .

والشيخان العالمان الفاضلان ؛ الشيخ محمد سيادي ، والشيخ محمد بشيرأدركتهم في طفولتي وأذكر لطفهم وكرمهم . رحمهم الله جميعاً ونفعنا بهم وبعموم علمائنا أجمعين أحياءً وميتين.

كان لوالدها عظيم الأثر في العناية بأهل بيته وربطهم بالقرآن والسنة علماً وفقهاً وحفظاً . وكم حدثتنا عنه ! كيف أنه بعد عودته من دروسه الصباحية والمسائية في المسجد كان يجمعهم على قراءة أذكار الصباح والمساء والأدعية المأثورة ، والتي جمعها فيما بعد وأسماها بالتسبيحات ، وكلّها مخرجة من أحاديث صحيحة . مضافاً إليها في المساء قراءة السور: يس، الدخان ، الواقعة ، أواخر

سورة الحشر وتبارك . وقد بقيت جدتي ملتزمة بهذه الأذكار طيلة حياتها، تجمع من كان حاضراً صغيراً أو كبيراً على قراءة ذلك ، وكل من حضرها يستشعر أنساً في هذه الجلسات الروحانية.

الفصل الثاني

زواجها وحياتها الأسرية

* زواجها :

أكملت – جدتي – مسيرتها العلمية والمسلكية عندما تزوجت من العالم الرباني الورع الزاهد الشيخ محمد الحامد في عام ١٩٤٤م . الذي كان إماماً في التقوى والخشية من الله والزهد والورع ، يأخذ نفسه بالعزيمة في كل شيء ، وأشد ما يكون تحرياً للحلال بعيداً عن الشبهات ولو في أصغر الأشياء، لا يقوى على مجاراته والعيش معه إلا من كان على تلك النشأة التي نشأتها جدتي – رحمها الله – في بيت يعمره الإيمان والتقوى والعبادة والزهد .

ومن طريف ما حدثتنا به ، أن جدي عندما عزم على الزواج طلب استخارة شيخه الشيخ أبي النصر وأرسل إليه أسماء أكثر من عشر بنات، يطلب منه الاستخارة على إحداهن ، وكان آخر اسم ألحقه بالورقة " فاطمة بنت الشيخ أحمد المراد " ، وإذا بشيخه يرسل إليه عليك بابنة الشيخ أحمد، فكان هذا الزواج الميمون المبارك الذي جمع فقه المراد وعلم الحامد وأثمر ذرية صالحة طيبة مباركة الآباء والأجداد .

* زوجها (العلامة الشيخ محمد الحامد) :

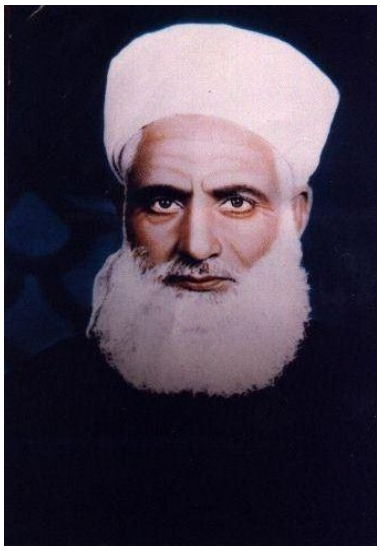

يقول الباحث المعروف في التاريخ الإسلامي والمشرف على موقع (التاريخ) الدكتور محمد بن موسى الشريف : " في التاريخ الإسلامي مشايخ كثيرون لا يعدّون ولا يحصون، لكن قليلاً منهم من أولئك الكثير كانوا عاملين ، والأقل منهم كانوا متصدين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان من هؤلاء الشيخ محمد الحامد يرحمه الله "

.

ويصف صاحب كتاب أعلام النقشبندية في بلاد الشام الشيخ الحامد رحمه الله بأنه : " العالم الورع ، والعامل التقي الفقيه ، والصوفي المدقق ، والباحث المحقق ، والوارث المحمدي ، والأديب الشاعروالداعية الواعي لأحداث زمانه وما يحيط بأمته وأوطانه ، الشيخ محمد ابن الشيخ محمود الحامد، الحموي ولادة ووفاة ، الحنفي مذهباً، النقشبندي مشرباً، المجاهد في الله حق جهاده ، الذي قضى حياته في سبيل الإسلام والذبّ عن شريعته ".

* ولادته ومنشؤه :

ولد – رحمه الله – في بيت العلم والتقوى عام ١٩١٠م (١٣٢٨هـ) بين العيدين الفطر والأضحى لأب عالم تقي صالح . ولولادته قصة أحببت أن أوردها لما لها من تأثير مبارك على جدي الشيخ رحمه الله . حيث انقطع حمل أمه عدداً من السنين ، فشكا والده الشيخ محمود إلى بعض خواصه انقطاع حمل زوجته، فأخبروه أن في حمص شيخا مباركا اسمه : محمد أبو النصر خلف يكتب بعض الآيات والأدعية يعطيها لمن تشكو إليه انقطاع حملها فتحمل بإذن الله ، وبتقدير الله سبحانه وتعالى كُتبت الورقة بيد الشيخ أبي النصر ، وحملت الأم بعد ذلك بإذن الله تعالى، وولد الشيخ رحمه الله تعالى فيما بعد وأصبح من أخص تلامذته المحبين والمقربين ، وله معه صلات روحية قوية ، وعاش محمد في كنف والديه وبين أخوته بدر الدين وعبدالغني ستة أعوام تقريباً . وكان والده الشيخ محمود الحامد عالم وشيخ الطريقة النقشبندية في حماة ، على جانب كبير من الصلابة الدينية والورع، عفيف النفس، كريم القلب . وكان يتحدث مراراً أن محمداً هذا سيكون عالماً . وأصاب الوالد مرض الطاعون الذي تفشى في تلك الفترة فترة الحرب العالمية الأولى ، وأحس بدنو الأجل فاشتدَّ به القلق على أولاده ، وخصوصاً أن البلاد تلفها المجاعة والأوبئة ، حيث إن العالم كلّه تكتنفه مجاعة عظمى ، حصدت عشرات الملايين من الناس ، ومن ضمنها حماة . فأخذ يبحث عن وصي

يوصيه عليهم، فلم يجد أحداً ، لأن كل إنسان يشغل بنفسه في الأزمات ، فما كان منه إلا أن أوصى الله عليهم ، فكان يردد في مرض وفاته : " أوصي الله على أولادي" .

لا أستطيع أن أمرعلى هذه الكلمات دون تعليق . . .

رحمك الله ياجدنا الشيخ محمود ، نم في ثراك هادئاً مطمئناً، لقد أودعت فلذات أكبادك عند أرحم الراحمين ، ومن لاتضيع عنده الودائع ، فقد تولّى سبحانه أمرهم ورفع شأنهم . والشيء بالشيء يذكر ، فقد كان فيما بعد من أمرهم :

- بدر الدين الحامد(شاعر العاصي) ، والذي له قصائد قوية ضد الاحتلال الفرنسي وفي أيام الاستقلال .
- والعلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد .
- وأستاذ اللغة العربية الفذّ عبد الغني الحامد .

فنعم من أوصيت ياجدي وأودعت عنده . وقد أدركت الأخير منهم، كان مهيباً ، بليغاً، فصيحاً، من جهابذة اللغة العربية ، شاعراً ، شديد الرقة ، جياش العاطفة ، وصولاً للرحم كثير الزيارة لنا ، له مع والدي جلسات علمية وسجالات أدبية كنت أشهدها .

وقبل وفاة الوالد الشيخ محمود – وكان حينئذٍ في الخامسة عشر من عمره – أوصى ولده بدر الدين أن يعتني بأخويه الصغيرين . توفي رحمه الله عام ١٩١٦م، وكان لجنازته وقع جلل في نفوس الحمويين ، فخرج فيها كثير من العلماء ، وصلّى عليه الشيخ محمد علي بن الشيخ سليم المراد .

فُجع محمد بوفاة والده وهو في السادسة من عمره ، وفي العام نفسه فُجع أيضاً بوفاة أمه ، التي ماتت كمداً على وفاة أبيه . ذاق مرارة اليتم لسنوات ، وكانت تلك الفترة من أشد السنوات التي مرت على البلاد أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث الناس تتضور جوعاً . ووصف الشيخ محمد –

رحمه الله – فيما بعد ذلك بقوله : "لو كان لليتيم لسان لأبكى الحجارة الصماء . . . كنا كثيراً ما نبقى في المدرسة أثناء فرصة الغداء دون طعام ، حتى أن أخي كان يبكي أحياناً من شدة الجوع ، على حين أشغل نفسي باللعب عن آلام الحرمان ".

* نشأته العلمية :

لم يغفل بدر الدين عن تعليم أخيه محمد في أشد أيام البؤس ، فقد أدخله المدرسة الابتدائية ، وتخرج فيها عام ١٩٢٢م ، والتزم حلقات العلم في المساجد، وعندما افتتحت المدرسة الشرعية بحماة عام ١٩٢٤م التحق بها ، ورغم صغر سنّه بين أقرانه فقد كان الأول بينهم ، وكان يتردد على حلقات علمية تعقد في المساجد صباحاً ومساءً ، حتى بلغ عدد الحلقات التي كان يحضرها في اليوم تسع حلقات . وكان من العلماء الذي نهل منهم في حماة العالم الحنفي الحجة الشيخ أحمد المراد .

وفي عام ١٩٢٨م أنهى دراسته في حماة ، ورحل في السنة نفسها إلى المدرسة الخسروية الشرعية في حلب، يروي بها ظمأه العلمي، وكانت تعد حينها من أرقى المدارس الشرعية في بلاد الشام، وحرص خلال دراسته في حلب على حضور الدروس العلمية التي تلقى من قبل علماءها الكبار، ولم يكن يقتصر – رحمه الله – على كتب المناهج الرسمية ، بل كان يطالع الكثير من المصنفات، يدفعه إلى ذلك شغفه العلمي ، وكلمة أخيه بدرالدين وهو في وداعه قبل سفره إلى حلب قائلاً له : " أعوذ بالله من نصف عالم " .

قال الشيخ : " هذه الكلمة حفرت في قلبي ولا يزال تأثيرها فيَّ نفسي منذ أربعين سنة " . ومن المشايخ الذين ربطته بهم علاقة روحية عميقة وكان له الأثر الكبير في حياته ، شيخه العالم والمرشد الكبير محمد أبو النصر بن الشيخ محمد سليم خلف ، مرشد العلماء العاملين ، وقدوة المحبين المخلصين ، الذي ببركته حملت والدته وأنجبته .

وفي سنة ١٩٣٣م عاد رحمه الله إلى حماة بعد أن أنهى دراسته في حلب ، وبقي فيها أربع سنوات أثبت فيها مكانته العلمية ، فجذب أنظار علماء البلد إليه.

وفي عام ١٩٣٨م يسّرالله له الارتحال إلى مصر ، والالتحاق بالأزهر الشريف ليتمّ دراسته العالية فيها، وقيل له بعد اختبارالانتساب إلى الأزهر إنك عالم لاتحتاج إلى الدراسة فيه ، ولكنه كان يعلن أنه استفاد من دراسته في الأزهر تحقيق المسائل وتدقيقها، وهو أمر ظاهر في آثاره العلمية وفي أجوبته الفقهية ، وكان زملاؤه في الدراسة يدهشون من كثرة معلوماته وغزارة محفوظاته وخاصة في الأحكام الفقهية.

مكث في الأزهر أربع سنين ، ونال فيه الشهادة العالمية في الشريعة ، ثم سنتين في تخصص القضاء ، فكان جماع مكثه في مصر ست سنين . وحين أنهى دراسته العالية بتفوق ، طلب منه المشرفون على الأزهر أن يدخل قسم التخصص العالي ، ولكنه رحمه الله آثرالعودة إلى بلده لحاجتها إليه.

* "الصوفي المدقق والباحث المحقق" :

في بداية حديثي عن الشيخ رحمه الله نقلت عن بعض الباحثين وصفهم له بأنه " الصوفي المدقق والباحث المحقق " ، دفعني ذلك لشرح هذه العبارة من خلال ما قرأته وسمعته من منهج الشيخ في ذلك ، لما له من أثرٍعلى شخصيته وأهله ودعوته.

كان توجه الشيخ محمد الحامد في بداية أمره توجهاً سلفياً، حيث تتلمذ في بداية حياته العلمية على يد خاله العالم الشيخ سعيد الجابي ، وتعّرف فيما بعد على الصوفية الحقة أثناء دراسته في حلب ، وذلك على يد الشيخ محمد أبي النصر خلف الحمصي ، الذي التقاه عندما كان يتفقد

مريديه فيها ، والصوفية الحقة هي الصوفية الخالية من المغالاة والأخطاء ، وتعني الصفاء والتنقية ، والشفافية والتزكية. وهي تربية النفس وتهذيبها وترقيها في طريق الوصول إلى الله سبحانه وتعالى . وهي الطريقة التي اتبعها الشيخ الحامد، والتي لاتخالف السلفية المخلصة التي تريد تنقية الإسلام من كل البدع والشوائب . وكان الشيخ يحذر دائماً من شطحات بعض المحسوبين على التصوف ، ويتبرأ من أخطائهم بقوله : " لا شأن لي فيمن شارك اسماً وامتلأ بالدخائل والبدع ، فذلك مالم أقصد إليه " وكان : " يقول العلم هو الأمير على التصوف ". فكان منهجه رحمه الله الوسطية والاعتدال بين الصوفية والسلفية ، فالصوفي برأيه يهدف إلى تزكية نفسه وتنقية قلبه من الشوائب ، والسلفي المخلص يهدف إلى تنقية الإسلام من البدع والدخائل ، فهو يرى أن السلفية الحقة مجتمعة مع الصوفية الصحيحة، فإذا ذخرت الصوفية بالروحانية الغامرة والرقة العميقة فليست منكرة على أختها السلفية تحرّيها تنقية الإسلام مما لابسه من الغرائب عنه ، كي يعود إلى صفائه وخلوصه. فلا تناقض ولا تعارض إلا حيث يفقد الإخلاص . وكما جاء في كتاب المحامد لتلميذه الشيخ عبد الحميد طهماز عن الشيخ الحامد قوله : " وإني سائر بمن يتلقنها مني على صراط الشريعة الإسلامية، فلا أسمح ببدعة تدخل عليهم ، لا في الاعتقاد ولافي العمل ، وليست الطريقة إلا بالعمل بالإسلام على قدم الجد والصدق ".

* حياته الدعوية والتربوية وحرصه على نشر العلم :

عندما عاد رحمه الله إلى مدينة حماة ، عرضت عليه مهنة القضاء فرفضها، وآثر التدريس في المدارس لنشر العلم ، فكانت المدرسة الميدان الأول لدعوته والمسجد ميدانه الثاني .

واهتم بالتربية في دروسه المسائية العامة ، والصباحية الخاصة ، التي لم يكن ليقطعها إلا لسفر أو مرض طيلة حياته ، وقد أثمرت توجيهاته واختياراته في جذب الكثيرين إلى رحاب الدين ،

وانخراط الشباب خاصة في سلك الدعوة الإسلامية بعد أن كان غالب حاضري درسه من الكهول وكبار السن في بدايات أمره ، فانقلبت الصورة بعد طول الدأب والمثابرة ، فأصبح أكثريتهم الساحقة من الشباب ، وأصبح الدرس المسائي العام خاصاً عند أغلب تلامذته ، يستفيدون منه استفادة منهجية . وحين كان يمتلأ الشيخ غضباً محذّراً من الأعداء والمتربصين ، وتتأجج عاطفة التحرق في قلبه على الدين ، كانت تنساب جذوة الحق وتشتعل في قلوب تلامذته الشباب المخلصين ، المتوثبين للعمل ، المتقدين همةً وحماساً . وقد وفقه الله في إنشاء جيلٍ فذٍ من الشباب المتحلين بالإيمان والإخلاص ، البعيدين عن الزيغ والضلالات الفكرية .

كان رحمه الله أباً حنوناً يتفطر رحمة ورقة لكل من حوله، ويشعر بالشفقة الشديدة والمسؤولية تجاه الشاردين كما قال تعالى : ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾. (الفتح آية ٢٩) . وهذا شأن ورثة الأنبياء كما قال الله تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾. (آل عمران آية ١٥٩) . حيث كان دأبه الدائم الإصلاح ، يأمر بالمعروف بمعروف وينهى عن المنكر بمعروف ، تحفّه الرقة والحكمة والأدب الرفيع ، واللطف الجم ، متمثلاً الآية الكريمة : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾. _(النحل آية ١٢٥) .

تمتاز دعوته رحمه الله بالصدق والحرارة في الدفاع عن دين الله ، سلاحه بذلك العلم ، تزينه العاطفة الصادقة النابعة بصدق وإخلاص من القلب الكبير. فكان إذا عاقب أو أنّب طالبا على تقصيره في واجباته العلمية لم يلبث أن يطلب منه السماح . كما كان من عادته أن يحمل حلاوات في جيبه يهديها للأطفال عندما يلاقونه تحببا إليهم ، وكانت له نظرة عميقة ذات أبعاد ، ووعي كبير، وفراسة عظيمة لما يجري حوله ، حيث يرصد بذور الشر قبل أن تظهر بسنوات طويلة ويحذر منها ، ومن تردي السبل أمام الناشئة الأحرار.

ولم يكن الشيخ يعادي إنساناً معيناً أو فئةً خاصةً ، حيث يعتبر نفسه لجميع الناس ، يريد بذلك توحيد الأمة لاتخريبها أو تفريقها، همه أن يجمع الناس ويوحد قلوبهم على الله لاعلى شخصه ، يتجنب إثارة الفتن والفوضى لئلا يؤدي إلى فساد أكبر.

* نشاطه العلمي :

كان الشيخ رحمه الله بحرعلم لا تنزحه الدِلاء، كما وصفه أحد مشايخه الشيخ أحمد الشماع في حلب، عالماً عاملاً فقيهاً، برز وتميز في المذهب الحنفي حتى صار أحد أعمدته في بلاد الشام . ورغم أنه لم يكن مفتياً رسمياً ؛ لكنه كان كذلك واقعاً وفعلاً ، ليس لأهل بلده وقطره فحسب بل لكل بلاد المسلمين ، لثقة الناس بعلمه وأمانته العلمية التي يتميز بها .

حدثتنا جدتي – رحمها الله – أنه يكاد لايمر يوم دون أن يطرق ساعي البريد بابهم ، بيده كيس فيه عشرات الرسائل من الأسئلة والاستفسارات الفقهية والشرعية ، من سوريا وجميع أقطار العالم الإسلامي ، فينهمك رحمه الله بالرد عليها دون استثناء أي سؤال منها أو تأجيله مهما كان مصدره ، وذكر الأدلة في أجوبته والبراهين ، وبقي على هذه الحال من التزامه التدريس والمسجد والرد على استفسارات السائلين ، حتى الفترة الأخيرة من حياته ، رغم تراجع صحّته وشدة إعيائه ، ونصح الأطباء له بأن يخفف من أعبائه ، فلم يكن لديه الوقت للتأليف إلا ما كان الداعي إليه في كتاباته الرد على ما يرى من خلل عقدي وانحرافات عن شرع الله في الصحف والمجلات وبيئته المحيطة، وكان له رؤيا عندما كان يدرس في مصرفي أول شبابه ، حدّث أهله عنها بأنه رأى نفسه في المنام عند قبر النبي (صلّى الله عليه وسلّم) وهو يزيل منهمكاً أشياء غير لائقة ، وجدها عند المقام الشريف ، فقصّ رؤياه على أحد مشايخه هناك فقال : " إنك ستذّبّ عن هذا الإسلام أشياء ليست منه "، وهذا كان دأبه ، وأرهق نفسه في ذلك إرهاقاً شديداً .

كان قوياً في الحق، لايهادِن فيه أحداً حتى أقرب المقربين إليه. مهيبا لا يتجرأ أحد أن يجاهرأمامه بمخالفة شرعية أو أخلاقية . لينبري واضعا الحق في نصابه ، كالأسد الهصور، شجاعاً يزأر بالحق ، صدّاعاً لايثنيه عن ذلك صلة أوقرابة ، ولا حميم الصداقة ، ولا يخشى في الله لومة لائم، ويتحلى بيانه برد علمي ، ملتزماً أدب المناظرة الرفيع الجلي ، يصدر من فيوض عالم رباني ، فكانت له في ذلك مجموعة من المؤلفات والردود والرسائل ، منها :

– نظرات في كتاب اشتراكية الإسلام ، وهو رد علمي على كتاب اشتراكية الإسلام لصديقه الحميم الدكتور مصطفى السباعي.

– ردود على أباطيل.

– تحريم نكاح المتعة في الإسلام.

– كلمات وأحاديث الجمعة.

وهناك رسائل علمية ودعوية عديدة منها :

- حكم اللحية في الإسلام ، حكم الغناء في الإسلام ، حكم مصافحة المرأة الأجنبية ، لزوم اتباع مذاهب الأئمة حسماً للفوضى الدينية – رداًعلى من قال باللامذهبية –، رحمة الإسلام للمرأة ، آدم لم يؤمر باطناً من الأكل من الشجرة ، القول في المسكرات وتحريمها، التدارك المعتبر لبعض مافي كتاب القضاء والقدر، بدعة زيادة التنوير في المساجد.

بالإضافة إلى مجموعة من الرسائل والكتب لم تطبع ، منها تعليقات وحواش على الهدية العلائية وعلى كنز الحقائق.

* جهاده :

شارك في مجاهدة الفرنسيين الذين احتلوا بلاد الشام ، وكان يذكّي بخطبه الحماسية جذوة الجهاد داعياً إلى الثورة ضدهم ، فكان يخطب الجمعة وطائرات الاحتلال الفرنسي تقصف حماة مراراً ، وتلقي بقنابلها حتى على المساجد ، وكان مما يقوله آنذاك : " أيها المسلمون. . . أعدوا أنفسكم للجهاد ، وطّنوها على الموت، موت شريف خير من حياة تعيسة ، ضربة بسيف في عز خير من صفعة بيد في ذل .

أيها الإخوان. . . لقد استخفّت فرنسا بنا، وخانت بكل العهود ، ولم ترع للمواثيق حرمة ، فاغضبوا ثم اغضبوا وثوروا ثم ثوروا ، لقد كان نبيكم صلى الله عليه وسلم يرتجز هو وأصحابه قائلين :

المشركون قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

أبينا . . . أبينا . . .

وما أجدرنا إعادة ذلك الرجَز قائلين :

هذي فرنسا قد بغت علينا وإن أرادت فتنة أبينا

رددوا معي :

أبينا . . .أبينا . . .أبينا . . .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ينتظرون ما أنتم فاعلون ، بما خلّفوا لكم من تراث عجنوه بدمائهم الذكية ، فهل يا ترى تختلط دماؤكم بدمائهم في هذه الأرض ، أم تضنّون بها فلا يكون لكم حظ من هذا السخاء الشريف " .

وإبان نكبة فلسطين أراد أن يشارك أخاه الدكتور مصطفى السباعي في الجهاد فيها ، لكن علماء حماة منعوه ؛ لأنهم رأوا أن بقاءه معلماً ومهذباً وداعياً أولى من الذهاب للجهاد ، فاستجاب لهم ، ولكنه انضم إلى اللجان التي شكّلت لمساعدة الفلسطينيين وجمع المعونات لهم ، وكان يطوف على الناس من أجل هذا . تروي جدتي – رحمها الله – عنه عندما كان يعود من جولاته على أماكن تجمعات الأخوة اللاجئين الفلسطينيين في مدارس حماة ؛ حيث في بداية الأمر تمّ إسكانهم بصورة مؤقتة فيها فترة الصيف ، كان يتألم كثيراً ويبكي لحالهم ، دائم التفكيربشؤونهم ، وسبل التخفيف عنهم ، وقلبه يتفطر حزناً وألماً لما آلوا إليه من أوضاع مأساوية تُبكي الحجارة الصم.

ولما وقع العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م انضم الشيخ إلى صفوف المقاومين الشعبيين، وحمل السلاح وكان يخرج بنفسه إلى الحقول للتدريب ، وعندما وقعت نكبة عام ١٩٦٧م فعل الشيء نفسه.

* نظامه التعبدي واليومي :

كان الشيخ الحامد – رحمه الله – لاتمرّعليه ساعة دون أن يفرغها في طاعة أو فائدة أو إنجاز علمي أو عملي أو جتماعي ، فالوقت عنده أمر جلل، وقته كله معبأ ومشغول.

يستيقظ قبل الفجر. . .يبدأ يومه بالذكر والصلاة على الرسول (صلى الله عليه وسلم)، حيث كانت جدتي رحمها الله تعد له طعام الفطور ، ثم يذهب إلى درسه الصباحي في المسجد

الجديد في السوق الطويل بحماة ، ثم يشتري حاجات البيت ويرسلها مع ابنه البكر محمود قبل أن يلحق بعمله ومحمود بمدرسته. ثم يعود إلى البيت، بعد قضاء ساعاته المقررة عليه حسب برنامجه اليومي ، ليقيل قليلاً إما قبل طعام الغداء أو بعده ، حيث إنها سنّة تعين على نصف النهار الثاني.

ويخلو بعد ذلك في مكتبته قبل العصر وبعده للمطالعة وتحضير الدرس المسائي العام في مسجد السلطان ، والذي يبدأ بعد المغرب، وأحياناً يقرأ ورده من القرآن بعد العصر أو في أي وقت تيسّر له ، لا ينسيه ذلك اهتمامه بأسرته وحسن رعايته لها، ومنح نفسه قسطاً من الراحة استجماعاً للعودة والانكفاء بعزم واهتمام .

وبعد عودته من درسه المسائي ، كانت لاتكاد تفوته مناسبة اجتماعية ، إلا ويشارك فيها ، ولو باليسير من الوقت ، مع مواظبته على حضور جلسة العلماء الأسبوعية . ثم يعود أخيراً إلى البيت للراحة ، وقد أخلدت أسرته إلى النوم ، فربما قضى حديثاً قصيراً مع جدتي ثم يتوجه إلى النوم ، ليستيقظ قبل الفجر ليستأنف عمله بهمة ونشاط.

وكان يستجِمّ في بعض الأيام ، حيث حبب له النزهة والرحلات ، يروّح بها عن نفسه ، عملاً بتوجيه الرسول صلّى الله عليه وسلّم (ساعة وساعة) ، وتحقيقاً لمراد الحديث الشريف : "إن هذا الدين يُسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشيء من الدلجة ". (رواه البخاري والنسائي في جامع الأصول). يرى بديع صنع الله ويمارس عبادته التأملية ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآياتٍ لقوم يؤمنون ﴾.(الأنعام آية ٩٩) يستجمع طاقته وقواه من عناء العمل وبذل الجهد الكبير في ذلك ، ولاينقطع عن مذاكرة العلم حتى في هذه الأوقات ، ليعود إلى عمله الدؤوب بعد ذلك.

* أخلاقه وصفاته :

كان يظهر على شخصه الإيمان المتجسد والإسلام المتحرك ، صحبه الشيخ علي الطنطاوي في مصر فوصفه قائلاً : " وجدته صاحب نكتة وفي روحه خفة على القلب وفي سلوكه أنس للنفس" .

وقال عنه أيضاً : " كنت أخالف الشيخ في مسائل الفقه ، وأشهد مع ذلك أن الشيخ كان صادقاً مع الله ، صادقاً مع نفسه ، وقد جعل الله له من الأثر في الناس ما لم يجعل لعشرات من أمثالي " . ويدل ذلك على التواضع الجم للشيخ الطنطاوي وحبه الشديد للشيخ الحامد رحمهما الله تعالى . وفيما يلي مقتطفات مما قاله عنه تلميذه الذي يكاد لا يفارقه حبّاً وتعطشاً وتعلقاً ، والدي الدكتور محمد سلمان النجار في كتاب (العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد):

" كان رحمه الله تعالى زهر الربيع في هيئته ، كالغصن في تواضعه ، أثقلته قطوفه ، فكلامه ثمر ناضج ، مهيب في أنس ، لايمنعه الوقار من الدعابة وقد يبدؤها ، لاتحبسه الهيبة من الضحك، فطن لموضع النكتة ، سريع البديهة ، مستحضر العلم ، حجة، يجود بعبرته حباً وشوقاً ، ورقة ورحمة ، خوفاً وطمعاً .يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، صدّاع بالحق ، صريح في دين الله . كانت عصاه تخيف كأنها درة عمر رضي الله تعالى عنه ، إذا رغّب أوقف سامعيه على أبواب الجنة كأنهم يعاينون النعيم ، فتطير أرواحهم شوقاً إليها، وإذا رهّب كأنهم على شفير النار يرون العذاب الأليم ، فتخفق قلوبهم خوفاً منها، فكنا نعيش معه بين الخوف والرجاء . صِدّيقيّ الرقّة ، عُمَريّ الحِدّة ، يتحرّى الصدق في أقواله وأفعاله وأحواله ، يُنزل الناس منازلهم ، ويخاطبهم على قدر عقولهم. قوي الفراسة ، صادق الكشف ، يكاد يحدثك بخبيئة نفسك . يحب الوفاء ويحث عليه ، من

سادات أهل الفتوة والكرم ، تأوي إليه الضيفان ، ويطلق يده في الإحسان ، ويحب كثرة الأيدي على الطعام ، يحسن إلى الجوار ويتحمل بوائقهم.

كان رقيق الشعور ، مرهف الإحساس ، يضم بين جنبيه نفساً شاعرية ، لكل لون من ألوان الجمال في الطبيعة له وقع خاص في نفسه ، يطرب لصوت الميزاب ينهمر بالمطر ، أو حفيف أوراق الشجر، كثير الشكر سليم الصدر ، سريع الرضا. زهد في الدنيا فأحبه الله ، وزهد بما في أيدي الناس فأحبه الناس ، فرّ من الشرف فاتّبعه الشرف . تطرقه الأحوال الشديدة ، فلا تفارقه حتى على المنابر ، فيصيح تارة ويبكي تارة ، فيسري ذلك إلى من حوله بالصياح والبكاء والاضطراب . كنت أستعذب النظر إلى محيّاه رحمه الله ، فأسارقه الطرف ، وما استطعت أن أملأ عينيّ منه مرة واحدة ، وما اتصل نظري بنظره إلا وشعرت بأن قلبي جناح عقاب دائم الخفقان ، يريد أن يقفز إليه قفزاً ويهتزّ ، وماجلست إليه مرة قط وتمنيت أن أنصرف ، وما فارقته إلا بفارغ الصبر انتظرت لقاءه "

.

* ورعه وتقواه كما رواه أهله وتلامذته :

له ورع الصّدّيقين وتقوى الزاهدين ، فقد كانت الصفة البارزة عند جدي الشيخ رحمه الله الورع . والورع هو اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات ، وهو من ثمار معرفة الله تعالى ، فكلما زاد العبد معرفة لربه وقرباً منه زادت خشيته منه ، يقول الله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ . (فاطر الآية ٢٨) كان يأخذ نفسه بالعزيمة في معظم أمره ، وبالرفق والتيسير للناس . وقد نُشر عنه في ذلك قصصاً عجيبة تذكّر بورع السلف ، خاصّة في طلب المال الحلال والتعامل مع البائعين والعمال.

ومما ترويه عنه زوجه – جدتي – رحمهما الله أنه لما أراد أن يشتري بيتاً ليستريح من عناء الأجرة تعب كثيراً ، واهتم لذلك واغتم ، وجد واجتهد ، وعزم وعقد، ولاقى في ذلك عناءاً وجهداً كبيراً ، ذلك أنه يريد شراء بيت بشروط شرعية ليس مُقاماً على أرض مقبرة سابقاً ولا أرض وقف، فاهتدى إلى بيت في حي الفراية ، حيث كان على رأس تلة في حي شعبي، والطريق إليه جدُّ وعرةٌ، وللوصول إليه مشقة كبيرة ، صعود يتبعه صعود ، وعاش حياته كلها يصعد ويهبط في اليوم عدة مرات، صابراً على الحي وبوائقه.

وكان رحمه الله يعظّم شعائر الله كثيراً، قال تعالى : ﴿ ومن يعظّم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾.(الحج آية ٣٢) ، من ذلك :

- أنه لا يرمي بنوى الزيتون إلا بكيس منفرد لأن الله تعالى أقسم بالزيتون،
- وكذلك نوى تمر المدينة لأنها من دار الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلّم) .
- وحتى أوراق التقويم اليومية يضعها في كيس منفرد للحرق لأنها لا تخلو من اسم الله أو اسم رسول الله عليه الصلاة والسلام.
- ويضع أيضاً في هذا الكيس كل ورقة مكتوب عليها باللغة العربية يريد إتلافها، تعظيماً للغة القرآن الكريم.
- وإذا قصّ شعره أو قلّم أظافره يدفنها في التراب منعاً للمهانة إن وضعت مع القمامة، عملاً ب قوله تعالى: ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم ﴾. (الإسراء الآية ٧٠) .

وفي المدرسة ما كان رحمه الله يعرف الراحة أو الجلوس والتحدث كما يفعل بقية زملائه وقت الراحة والفسحة ، وذلك لوجود من يدخن في غرفة الإدارة أو يتكلم بكلام لا يرضي الله تعالى ، فكان

يصعد إلى سطح المدرسة ويزرعه جيئة وذهاباً ، ويملؤه بأذكاره والصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) .

وفي قصة أخرى تُنبئ عن شدة ورعه يرويها بعض من أحد تلامذته : " خرج مرة في رحلة إلى غوطة دمشق الغناء، حيث وقع الاختيارعلى أحد البساتين وأرداوا الوصول إليه، ولكن الطريق الذي يوصل إليه كان يضم استراحة تبيع الخمور ، فأبى رحمه الله المرور من ذلك الطريق ، وآثر طريقاً آخر وكان طريقاً معوجّاً طويلاً ؛ إنكاراً منه للمنكر . وما إن وصلوا ووضعوا الرحال ، أراد الشيخ تعليق عكازه على شجرة فانكسر غصن صغير منها، وبعدها لم يهدأ للشيخ بال ولم يقر له قرار، وانهمك يسأل عن صاحب البستان ليستسمح منه ، وبعد فترة أتى صاحب البستان ليبلغ انتهاء مدة الاستئجار، فما إن وقعت عيني الشيخ عليه ، حتى انطلق إليه يستسمحه في الغصن الذي انكسر، فدهش الرجل وعمّه السكون للحظات ، ثم تحول شعوره إلى تقدير وإعجاب للشيخ ، وطلب منه ومن معه – أحسن الله مكافأته – البقاء في بستانه إلى الوقت الذي يشاؤون دون مقابل " .

وهناك قصص كثيرة يرويها عنه أهله ، في شدة شفقته وحنوّه حتى على الحيوان ، لا يتسع المقام لسردها، أذكر منها :

- أنه كان يعتني عناية شديدة بالعصافير الطليقة على سطح منزله ، حيث يضع لها الطعام ، ويأمر بالرفق بها وعدم إخافتها ، هي أو أي حيوان آخر، وحتى خلال مرض وفاته– حيث كان يتلقى العلاج في بيروت – لم يشغله مرضه الشديد عن هذا الأمر ، فقد كان يرسل ويوصي من هناك لإطعام العصافير.

- وعاد مرة بالسيارة من نزهة من أطراف المدينة ليجد نملة عالقة على جبهته ، فما كان منه إلا أن طلب من السائق العودة من حيث أتى ، لإعادة النملة إلى مكانها، شفقة عليها ولإعادتها لمجموعتها وأهلها، وتمَّ له ذلك.

* علاقته ببيته وأسرته :

كان بيت الشيخ رحمه الله بيت يعمره التقوى والإيمان ، تزينه العاطفة والرقة والإحسان، حيث تفيض عاطفته على أهله رحمه الله ويقطر قلبه حناناً ولطفاً، فكلما تذكّرت والدتي جدي رحمه الله تذكرت لطفه وحنانه الشديدين، وقلبه الكبير ، ومشاعره الفياضة ، يكرم أهله جميعهم، يشتاقهم وهم أمامه ، ويتفجر رقة وعذوبة ، دائم التقبيل لأولاده ومازحتهم . لم تمنعه هيبته من مداعبتهم والنزول إلى طفولتهم ، ومستوى عقولهم ، والمباسطة الشديدة لهم ، وإغداقه الدائم عليهم بعاطفتة الجياشة، وقلبه الحنون الكبير ، وروحه المرحة . دون توانٍ في توجيهٍ إذا احتاج الأمر ، لِيناً من غير ضعف وحَزماً من غير عنف . حسن الالتفات إلى زوجته، علمها العلم الشرعي ، وإلى أولاده فعلمهم وهذبهم.

وكان لكل ولد منزلة خاصة في قلب والده لاينافسه فيها أحد، وله لقب جميل يأخذ بالألباب، فمنهم من كان (نجم الدار) ، ومنهم من كان (قمر الدار) ، ومنهم من كان (شمس الدار) . أما إكرامه للبنات واللطف بهن فالشيء الكثير ، فهن : (عين أبي)، و (صدقة ربي لأبي)، و (دعوة ربي) . وهن المؤنسات الغاليات الآمرات، مجابات الطلبات.

ومما ترويه والدتي لنا أنه رحمه الله لايهنأ بطعام دون أهل بيته ، فإذا دعي إلى طعام ، يَدخل على أهل بيته مشترياً لهم نفس الصنف الذي أكله . ودائماً يضع عندهم الأمل والترغيب والتفاؤل الحسن ، حتى في مراحل مرضه الأخيرة ، إذ لا تنسى أمي آخر كلماته التي ودعها بها عند مغادرته

المنزل ، مع ما به من ألم شديد ومعرفته لخطورة وضعه الصحي ، ودّعها قائلا : "يا بابا أنا ذاهب لإجراء عملية جراحية ، ادعُ الله لي يا أسماء أن أعود بالسلامة ، وإن شاء الله عندما أعود سآخذكم في رحلة شائقة إلى اللاذقية ، وذلك لطمأنتها ، والتهدئة من روعها .

* مرضه ووفاته :

كانت حياته رحمه الله كلها لله جهاداً ودعوة ، وبياناً لما أنزل الله للناس ، همه في الليل والنهار أن يعيد الأمة إلى فطرتها، متألماً لآلامها، فأذاب جسمه وصحته، وأفنى عافيته في سبيل ذلك، فأصيب بمرض تشمع الكبد الذي ليس له علاج ، وعانى من حمية شديدة وآلام كثيرة ، ونزفٍ كبير ، وقرر الأطباء إجراء جراحة كبيرة ودقيقة له في بيروت ، للحد من النزيف المتكرر لما له من خطر على حياة الشيخ ، وحمل إلى مستشفى المقاصد الإسلامية هناك ، ومن عجائب ورعه وتقواه أنه خلال النزف المتكرر وحاجته لنقل وحدات الدم ، لم يكن ليرضَ أن ينقل إليه إلا دم رجل صالح، ويقول : " لا أحب أن يخالط دمي إلا دم مؤمن ركع لله وسجد " .وما أن سمع الناس في بيروت حاجة الشيخ إلى دم حتى تقاطروا إلى المستشفى كل راغب أن يُخالط دمه دمَ الشيخ رحمه الله ليكون معه في الجنة بإذن الله. وأجريت له العملية الجراحية، والتي استمرت حوالي ست ساعات ونصف ، لكن ذلك لم ينفعه يرحمه الله . عاد بعدها إلى حماة ، وبعد يومين لقي وجه ربه راضياً مرضياً، فكانت وفاته يوم الإثنين ١٨ صفر ١٣٨٩هـ (الموافق ٥ أيار ١٩٦٩م) بعد صلاة العشاء، الساعة التاسعة وثمان دقائق تقريباً .

خرجت مدينة حماة عن بكرة أبيها تودّع مرشدها وعالمها الكبير، وكان يسمع للناس ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج في الحرم ، وقد حضرت الجموع الغفيرة من أهل العلم وغيرهم من أقاصي البلاد لتشارك تشييع الجثمان الطاهر.

ومما روي عن إكرام الله له بعد وفاته ، أنه خلال التشييع كانت إحدى خطبه المنبرية المسجلة ، تُبَثُّ عبر السماعات ، التي يعلو فيها صوته الملتهب قوةً وحماساً ، وفي ختامها يلهج بالدعاء : " اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين"، وكان يوماً صيفياً قائظاً ، فإذا بالسماء تمطر على غير عهدها في مثل هذه الأيام، فالتقت دموع أهل الأرض مع السماء .

رحمك الله يا جدي ويا سيدي ، وأسأل الله كما نوّر بصيرتك أن ينوّر ضريحك ، وأن ينزّل عليك سحائب رحمته ورضوانه ، وأن ينفعنا بك ميتاً كما نفع بك حياً ، ويرفع مقامك في عليين ، ويجمعنا بك إنه مجيب كريم.

وإليك هذا البيت الذي أنت قائله :

سقى الله قبراً أنت فيه موسّدٌ وجادك غيث الفضل كل شروق

بعد أن أخذنا الحديث عن زوجها العلامة الشيخ محمد الحامد، نعود الآن لنكمل سيرتها ونتعرف على أولادها طيب الله ثراها .

* أولادها والتعريف بهم :

وهم السادة الأفاضل على الترتيب :

١) الشيخ محمود الحامد ـ حفظه الله ـ (مواليد ١٩٤٥م):

حاصل على بكالوريوس في الشريعة ، وتخصص في اللغة العربية ، وحاصل على دبلومات عليا متعددة بعد المرحلة الجامعية . نهل العلم من نعومة أظفاره من والده رحمه الله ، حيث كان يرافقه في دروسه الخاصة والعامة ، ويشاهده في عبادته وخلواته ، كان ساعد والديه الأيمن في تلبية حاجات المنزل والإشراف على إخوته . وكان أشد أخوالي لصوقاً بوالده وخدمة ضيوفه ، فاصطبغ

بكثير من صفاته الإيمانية ، وأولاه جدي رحمه الله رعاية خاصة باعتباره ولده البكر ، ماجعله الأكثر تحصيلاً للعلوم الشرعية من إخوانه على غزارة علمهم ، حفظهم الله جميعاً ، ونفع بهم . عرف عنه الأخذ بالعزيمة والورع الشديد . عمل أكثر من عشر سنوات في مجلة المنار في أبوظبي في دولة الإمارات.

متزوج وله ثلاثة أولاد (بنتان وولد)، ويقيم في قطر.

٢) السيدة فاطمة عفراء الحامد ـ رحمها الله ـ (مواليد ١٩٤٧م):

كانت سيدة واسعة الثقافة ، شغوفة بالعلم ، مولعة بالمطالعة ، مرهفة الحس ، شديدة الانتباه ، وقّادة الذكاء ، كانت تسبق أقرانها بعامين في المرحلة الدراسية ، وترتيبها دوماً الأولى بين أقرانها، قال جدي رحمه الله عنها : " لو أتيح لها سبيل إكمال العلم لبزت أهل زمانها " . شديدة الإخلاص ، مثالاً في اللطف والكرم ، والروح الفكاهية ، تفيض عطفاً وحناناً ليس على أولادها وأقاربها فحسب ؛ بل لكل من عرفته وعرفها ، نذرت حياتها لإيواء الشباب المغتربين عن أهلهم ، وإكرام الضيوف ، وإغاثة الملهوف ، وقضاء حوائج الناس . لها خمس أبناء وبنت واحدة.

توفيت رحمها الله في مطلع عام ١٩٩٣م ودفنت بالبقيع في المدينة المنورة.

٣) الشيخ محمد أمين الحامد ـ حفظه الله – (مواليد ١٩٤٩م):

حاصل على درجة بكالوريوس دراسات إسلامية من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ونال درجة الماجستير في السياسة الشرعية من جامعة الأزهر الشريف في مصر ، وحضررسالة الدكتوراة في ذات التخصص لعدة سنوات ، إلى حين مناقشة الرسالة ، ثم حالت ظروفاً دون إتمام المناقشة.

عمل في حقل التدريس الجامعي بالمملكة العربية السعودية ، حيث درس عدة سنوات في إحدى جامعات أبها ، ثم انتقل إلى جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٩٨٥م ودرّس فيها مادة الثقافة الإسلامية بمستوياتها الأربعة لمدة تزيد عن ٢٢ عاماً . عرف عنه قوة البأس والشكيمة، وقوة الفراسة في الرجال، والشخصية العمرية.له فضل الرعاية والتنشئة والتوجيه علي وعلى إخوتي – أحسن الله مكافأته – حيث كان والدنا بعد وفاة والدي رحمه الله . اشتهر بالضيافة والكرم وبيته مفتوح للضيفان ، مقيم في جدة ، متزوج وله ولد واحد .

٤) الشيخ عبد المعز ـ حفظه الله ـ (مواليد ١٩٥١م):

حاصل على درجة بكالوريوس في الشريعة من جامعة دمشق، ثم انتقل إلى الأردن . حاز على درجة الماجستيرفي تاريخ االحضارة الإسلامية . حُبّب إليه السفر والترحال ، فقد زارمعظم بلاد العالم شرقاً وغرباً ، براً وجواً ، مما أثرى معلوماته التاريخية والأثرية الإسلامية والانسانية، حيث عُرف عنه حبه وولعه الشديد بذلك . ذواقة للجمال ، عنده دراية و حسٌّ عالي للمناطق الجميلة والمناظر الطبيعية الخلابة ، ذو ثقافة عالية وعلاقات اجتماعية واسعة . متزوج وله ولدان وثلاث بنات، ويقيم حالياً في الأردن .

٥) أسماء الحامد – والدتي ـ حفظها الله (مواليد ١٩٥٣م):

أبقاها الله لنا عزاً وذخراً . بعد إنهاء مرحلتها الدراسية أرشدها والدها – رحمه الله – إلى حفظ بعض المتون ، حيث كان يردد دائماً : " من حَفِظ المتون أتقن الفنون "، وعليه حفظت ودرست الكثير من ذلك ، مثل لامية ابن الوردي ، وألفية ابن مالك ، وجوهرة التوحيد، بالإضافة إلى الأربعين النووية وسنداتها شرحاً وحفظاً . محبة للقراءة ، شديدة التواضع ، كثيرة الحياء ، ذات شعورمرهف ، وعاطفة قوية جياشة ، وقلب حنون ورقيق . صابرة ، تعرضت لمحن وابتلاءات عديدة منذ صباها . ومن صفاتها أيضاً الوفاء والزهد ، وحبها الخلوة للعبادة ، ودودة كريمة ،

شديدة الإيثار ، إلفة مألوفة . أخذت وأختها عن والدهما روح الفكاهة والمرح وكثرة الشكر . رزقت بثلاث بنات وولد ، وهي تقيم حالياً في منزل خالي الشيخ محمد أمين بجدة حفظهما الله.

٦) الشيخ عبد الرحمن الحامد ـ حفظه الله – (مواليد ١٩٥٦م):

حصل على درجة بكالوريوس في الدراسات الإسلامية من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ونال درجتي الماجستير والدكتوراة في الحديث الشريف من الجامعة نفسها. عمل إماماً وخطيباً في مسجد مستشفى فقيه بجدة لعدة سنوات ، درّس خلال ذلك معيداً في جامعة الملك عبد العزيز بجدة . ثم انتقل إلى البحرين ليعمل أستاذاً في إحدى جامعاتها ، حيث لازال يقيم هناك . يتسم بالطيبة والبشر والسماحة وسلامة الصدر ودماثة الخلق . متزوج وله بنتان وأربع أولاد.

٧) أحمد سالم الحامد ـ رحمه الله – (مواليد ١٩٥٨م).

فَقدته جدتي في مطلع الثمانينات من القرن الماضي ، وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره بعد ، وكان شاباً وسيماً قد امتلأ حيوية ونشاطاً ويشع ذكاءً وحركة ، رهن حياته للدعوة إلى الله ، تربى على يده الكثيرمن الناشئة ، كان بشوشاً حيياً ، ذو أخلاق عالية ورفيعة ، وشخصية قوية أخّاذة مع روح الفكاهة والدعابة، انتسب إلى جامعتين في آنٍ واحد ، حيث كان يدرس الشريعة في جامعة دمشق ، واللغة العربية في جامعة لبنان . وكانت لجدي مقولة عن خالي سالم ترويها والدتي لنا: " من آذى سالما فقد آذاني. . . ".

٨) الرضيع عاصم الحامد ـ رحمه الله ـ:

ولد عام١٩٦٠م . كان جميل الصورة . توفي في سن الرضاعة على أثر وعكة صحية ألمت به فجأة رحمه الله . وكان أصغر أبناءها رحمها الله . يرى بعض المقربين من أخوالي حفظهم الله أن صفات جدي رحمه الله وخصاله المجتمعة به – والله أعلم – قد وزِّعت على أبنائه ، حيث تظهر في

كل واحد منهم سمة أو أكثرعلى باقي السمات ، مع اشتراكهم جميعاً بالعلم والزهد والتواضع والكرم وسلامة الصدر.

* حياتها الزوجية والأسرية :

كانت جدتي – رحم الله روحها الطاهرة – نعم الزوجة الفاضلة ، والأم المربية الصالحة ، التي تحفظ لزوجها في غيبته ما يحرص عليه من العزيمة والورع ، بحكمة وأمانة ، وبكل حب وكرامة . يقول سبحانه : ﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾. (النساء آية ٣٤) . وذلك في طريق المجاهدة والوصول إلى رضا الله تعالى علماً وسلوكاً . وفي حياتها العملية مع جدي – رحمه الله – كان لها الكثير من المواقف المتميزة في الوقوف إلى جانب زوجها وتثبيته في المحن الملّمة والمصائب المؤلمة ، أسوتها بذلك السيدة خديجة – رضي الله عنها – فقد كان جدي الشيخ – رحمه الله – له قلب مليء بالعواطف الجياشة والعبرات الفياضة، والأحاسيس المرهفة، فعندما تعود به ذكرياته إلى الماضي ويتذكر مرارة يتم الأبوين وهو صغير، وحنان والدته عليه وفقدانه المبكر لها، وما عاناه من ألم وحزن وحرمان ، وانتقال من بيت إلى بيت ، كان يدخل في بكاء مرير وألم كبير، فتهدّئ من روعه وتخفّف من ألمه ، وتشدُّ من أزره . وعند وفاة طفلهم الرضيع خالي عاصم – رحمه الله – إثر وعكة ألمت به في سن يمتلىء فيه قلب الأبوين حناناً وتعلقاً؛ لما يدخله من بهجة وسرور يمتلك الأفئدة.

كان جدي الشيخ رحمه الله بالرغم من إيمانه العميق وتسليمه المطلق لقضاء الله وقدره يبكي بكاء المكلوم ، يكاد قلبه يتفطر حزناً وذلك لرقة أحاسيسه وتدفق مشاعره ، كما وصف لنا ذلك سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أنها رحمةً يضعها الله في قلوب عباده . فكانت وهي المرأة الحنون والأم الرؤوم تصبّره وتواسيه مخففة من ألمه ومصابه وتخفي مشاعرها أمامه . صبرت معه على حياة

العلماء الزاهدين المتواضعين ، لايقبل هدية ويحرص على الحلال المحض فكم من مرة رفض الراتب نهاية الشهر مع أنه مصدر دخله الوحيد لأنه علم أنه اختلط بمال وقف أو شبهة.

وكانت حياته العلمية زاخرة شاقة ، تستغرق وقته وتستهلك طاقته وجهده ، فكانت الصابرة الراضية على كل هذا التعب وضيق الوقت حتى عن الجلوس معها وانشغاله عنها دون ملل أو تضجر، وتقوم بواجبها نحوه مع ضيوفه وعائلتها بلا شكوى أو تذمّر . ولما يعلمه من تقواها ووعيها ورجاحة عقلها وحرصها على أولادها ، كان شديد الثقة والاطمئنان لها في تربية أبنائهم وتنشئتهم . فبسبب كثرة انشغاله ، كانت المسؤول الأكبرعن عبء الرعاية والتربية ، بينما يساندها جدي بالإشراف والتوجيه والمتابعة . فأينعت هذه التربية ثماراً صالحة بررة ، حيث اتفق لهم ما تزرعه الأم فيهم من مبادئ الدين ، مع ما يشاهدونه من منهج وسلوك الأب، صوراً عمليةأمامهم ، لااختلاف ولاتفاوت ، فالأبوان يغرفان من مشكاة واحدة ، وقلما يجتمع هذا الوعي والانسجام بين الأبوين في التربية.

ومع كل مسؤولياتها الكبيرة ، كان هناك أمر آخر له مسؤولية وحق الأولوية ، فقد كان جدي رحمه الله من شدة ورعه لا يتحدث إلى النساء مباشرة في استفتائهن عن المسائل الفقهية ، وكُنَّ لايستأذنَ عليه إلا عن طريقها ، ومن المعلوم أن استقبال السائلات يحتاج إلى تفرغ ، فقد كان يُطرق الباب في أي وقت، ومع أي ظرف تكون به ، فتترك كل ما بيدها من عمل لتقوم بواجب السائلة، من حسن الاستقبال والإجابة عن السؤال.

وكان جدي – رحمه الله – شديد الود واللطف بزوجه ، كثير الشفقة عليها، والرحمة بها ، عطوفاً عليها ، يقدر لها تعبها وجهدها ، يمازحها ، وينديها بألطف اسم لها " يا يسر " حتى يدخل السرورعلى قلبها .

* أصهارها والتعريف بهم :

١) العالم الفاضل الشيخ محمد مصطفى المراد (مواليد ١٩٣٨م).

ابن الشيخ العالم الجليل عبدالعزيزالمراد . هوابن أخيها ، وزوج ابنتها الكبرى عفراء رحمها الله . حاصل على درجة البكالوريوس في الشريعة من جامعة دمشق . درّس مادة التربية الإسلامية في سوريا لسنوات عدة ، ثم انتقل للتدريس في مدارس المدينة المنورة حيث لايزال يعيش هناك حفظه الله.

عُرف عنه العلم الشرعي الواسع، والكرم الشديد، وحسن الضيافة . كان نعم الأخ لوالدي ، وبمثابة العم الحقيقي لنا ، يكرمنا ويبهجنا ويدخل الأنس والسرورعلى قلوبنا . وبيته معروف بالمدينة المنورة، بيت العلم والكرم ومجالس الذكر والضيافة أمد الله لنا بعمره ونفعنا بعلمه.

٢) الدكتور محمد سلمان النجار - رحمه الله - (مواليد ١٩٣٨م)

زوج ابنتها الصغرى أسماء، والدي – رحمه الله – (ربِ اغفرلي ولوالديَّ ربِ ارحمهما كما ربياني صغيرا) . كان طبيباً جرّاحاً، يحمل تخصصين في الجراحة والباطنة . أصيب بحادث سير أليم عام ١٩٧٠م ، بعد زواجه من والدتي بشهور قليلة ، أدى به بعد أقل من عامين إلى مرض في الحبل الشوكي يسمى (التصلب اللويحي) ، عمل في المستشفى الوطني بجماة حتى وفاته ، وعُيِّن فيها طبيباً مستشاراً في السنوات الأخيرة من حياته . وكان طبيباً مشهوداً له بالبراعة والحذاقة من قبل أساتذته وزملاءه.

كنت أخاله شخصية مؤثرة علينا في المنزل فقط ، لما يحمله ويغرسه فينا من صفات قيّمة ، ولكن عرفت عنه من الناس قصصاً بعد وفاته أكثر بكثير مماعلمته عنه في حياته ، حيث لم أكن

أتجاوز الخامسة عشرة من عمري عند وفاته رحمه الله . حاد الذكاء ، قوي الفطنة ، سريع البديهة ، ذوعاطفة متقدة وحس مرهف ، وكرم فياض ، رهن حياته لاستقبال الناس في عيادته الخاصة لمعالجتهم مجاناً ، وله منطق خاص في ذلك أنه يرفض أي مقابل من آلام الناس وأوجاعهم ! .

جمع بين العلوم الشرعية والطبية ، حيث لازم جدي من ريعان شبابه. وله تذوق عالي في الكتابة والشعر والأدب ، أولاني عناية كبيرة كوني الأكبر ، وأُدينُ له – رحمه الله وطيّب ثراه – بتدريبي على الكتابة.

حُبب إليه الفقراء والمساكين والإحسان إليهم سرّاً ، وإدخال الفرح على قلوبهم . وعُرف عنه حبه الشديد للعلم وحرصه عليه ، فرغم ظروف المرض الذي عاشه ، ظلَّ يطلب العلم حتى آخر رمق من حياته . وله مقولة مشهورة في ذلك : " أريد أن أقهرالمرض لا المرض يقهرني " .

وهو أحد تلامذة جدي الشيخ محمد الحامد منذ مرحلة الثانوية – في ثانوية ابن رشد – إحدى الثانويات التي كان يدّرس فيها جدي – رحمه الله – في حماة ، ثم أصبح من المقربين والملازمين له . أخذ منه الطريقة النقشبندية وكان صاحب حال.

* علاقة خاصة بين الشيخ ومريده :

لا أستطيع المرور على ذكر والدي رحمه الله بِرّاً به ، دون أن أذكر علاقته الوثيقة والروحية القوية بجدي الشيخ رحمه الله – التتلمذ والحب في الله – فليعذرني القارئ الكريم إن تكلمت شيئاً عن ذلك، لما فيه من أُنس للقلب وجلاء للصدر ، وطرب للروح، ولا يخرج ذلك عن سياق الكلام عن جدتي رحمها الله، لانعكاس ذلك الحب والتقديراللذين يحملهما والدي في جوانحه له على جدتي ومكانتها لديه ، كما سيمر معنا لاحقاً إن شاء الله عند الكلام عن وقوفها تشد من عزيمته في محنته.

كان والدي رحمه الله من أشد التلامذة المحبين والمقربين إلى قلب جدي الشيخ محمد الحامد قدس الله سره ، وقد بلغت المحبة ذروتها بين الشيخ وتلميذه حتى إنه زوّجه إحدى ابنتيه ، والدتي أبقاها الله ترفل بثوب العافية . دعا الله والدي عند وفاة جدي أن يكون أول لاحقٍ به ، وبقي والدي طيلة حياته وفياً مع أهل شيخه محباً مكرماً لهم . وقد بلغ من شدة محبة والدي لجدي رحمهما الله تعالى وتعلقه الروحي به أن إحدى زميلاته الطبيبات حدثتنا أنه في المراحل الأخيرة من مرضه وتحديداً في أيامه الأخيرة ، وقد لازمه الإعياء والألم الشديد ، وأجهده عن الحركة والكلام ، عندما كان زملاؤه يتحلّقون حوله لعيادته ، وتأتي سيرة الشيخ محمد الحامد كان لوالدي شأن آخر، وله في ذلك أمر عجب ، كانت تطغى روحانيته على آلامه، وينسلخ من مرضه وأوجاعه ، ويتحدث عن الشيخ وأحواله بنشاط وحيوية بالغين ، حيث تتورد وجناتاه ، ويزول عن وجهه أثر الإعياء ، فيثير ذلك دهشة من حوله ، حتى أن الناظر إليه ينسى أنه مريض ! .

توفي في حماة عام١٩٨٧م، ومما اعتُبِرَ كرامةً له وصدقاً منه وإخلاصاً في حبه لشيخه ومرشده، أنه دفن بجواره ، وتحديداً في المكان الذي كان يجلس فيه بالسيارة – حيث أقعده المرض – عند زيارته قبر جدي وقراءة الفاتحة لروحه والدعاء له ، وكنت أراه مع ما كان به من آلام ، يتحامل على نفسه ويعتبر زيارة قبر جدي نزهة روحية ، تقوّي من عزيمته . والعجيب أن بقي ذاك المكان فارغاً طيلة سنوات ، وكأن الله سبحانه لكرمه قد ادخره له ! .

أسال الله كما جمع بينهما في الدنيا أن يجمعهما في الآخرة ، ونكون معهم أجمعين.

الفصل الثالث

حياتها العلمية والاجتماعية

سلوكها وصفاتها

* حياتها العلمية :

نشأت رحمها الله في بيئة علمية ثقافية ، حيث إنها ربيت في بيت والدها العالم الشيخ أحمد رحمه الله رحمة واسعة . ومما حدثتنا به أن والدها أولى أهل بيته عناية كبيرة ، حيث لم يمنعه انشغاله بالعلم والتدريس أن يكون له درس خاص لأهل البيت ، في القرآن والتفسير والفقه والحديث الشريف ، يعلمهم فيه ويفقههم في الدين ، وحيث إن والدها – رحمه الله – كان علامة بالفقه الحنفي ، فكان من أبرز ما درست على يديه الفقه الحنفي ، خصوصاً فقه العبادات في كتاب (مراقي الفلاح) . وقد فتح الله لها به فتحاً عجيباً، فقد أتقنته أشد الإتقان ، ودرّسته فيما بعد للنساء على مدى نحو أربعة عقود . والفقه باب عظيم من أبواب العلم ، يقول الإمام الشافعي (رضي الله عنه) : " أشرف علوم الدنيا الطب وأشرف علوم الدين الفقه " . لأنه ثمرة الكتاب والسنة ويحتاجه المسلم في شؤون حياته ، " هوالإسلام والإيمان "كما قال جدي الشيخ محمد الحامد رحمه الله . وقد وردت أحاديث عدَة عن الرسول (عليه الصلاة والسلام) في فضل الفقه وتعليمه منها : " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين " (متفق عليه) . وفي حديث آخر : " ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من فقه في الدين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه " . (رواه الطبراني في الأوسط وأبو بكر الآجري في كتاب فضل العلم) . وقد ورد في الأثر : " خير دينكم أيسره ، وخير العبادة الفقه ".

أخذت عن والدها العلامة الفاضل الشيخ أحمد من بداية نشأتها ، علم الفقه والسلوك والتربية وتزكية النفس والأدب والتواضع والحلم والتعلق بالله وحده والزهد في هذه الفانية والاستعداد التام والدائم للآخرة . وانتقلت بعد زواجها إلى بيئة علمية ثقافية أخرى في بيت زوجها العالم الشيخ

محمد الحامد ، فصقلت معرفتها بالفقه أكثر، باكتسابها من علمه ، وكانت هي من ينقل إليه المسائل والمشكلات ، وتنقل ردّه عليها إليهن . وأخذت عنه أيضاً الأحكام الفقهية الخاصة المتعلقة بالنساء ، وتمكنت منها وبرعت فيها، فاستفادت من عشرتها لزوجها فقهاً غزيراً ، وعلماً كثيراً، وخُلقاً رفيعاً، وتزكيةً كبيرة . وتكون بذلك قضت سبعة وأربعين عاماً بين والدها وزوجها، اثنان وعشرون منها في بيت أبيها العالم ، وخمسة وعشرين عاماً صحبت فيها زوجها العالم تأخذ منه . وبعد وفاة جدي ١٩٦٩م تفرغت لمطالعة الكتب العلمية الشرعية والتدريس . رحم الله أرواحهم الطاهرة وجمعنا معهم في عليين.

* حياتها الدعوية :

احتل الفقه في حياتها العلمية والدعوية – رحمها الله – المرتبة الأولى ، والتزمت به تطبيقاً وتعليماً . وأصبح لها درس أسبوعي، من عام ١٩٦٩م تُقرئ فيه النساء القرآن مع أحكام التجويد ، وتُدرّس فيه فقه العبادات (كتاب مراقي الفلاح) ، وفقه النساء (كتاب أحكام الحيض والنفاس) للشيخ عبدالحميد طهماز . إلى جانب تفسير آيٍ من الذكر الحكيم ، ودروس الرقائق والمواعظ ، التي كانت تلقيها عن ظهر قلب ، فتأخذ بمجامع القلوب ، وتسمو بالأرواح ، إلى أعلى الملكوت . واستمرت في ذلك حتى عام ٢٠٠٧م ، أي على مدى ثمانية وثلاثين عاما، عطاءً متواصلاً ، في حماة (سوريا) ، والسعودية.

وكان درسها في الفقه يجمع بين التبسيط والتصوير العملي الدقيق لكيفية التيمم والوضوء وحركات الصلاة الصحيحة وأحكام العبادات وفق الهدي النبوي . وكانت النساء دوماً يقصدنها للسؤال عن الأمور والأحكام المتعلقة بهن ، فسدّت بذلك جانباً كبيراً من أمورهن . وكان بيتها – رحمها الله – جامعة علوم شرعية للنساء درَست فيه شتى الفئات والمستويات والأعمار ، حتى

الجنسيات المختلفة، فكأن بيتها خلية نحل عامرة يقصدها القاصي والداني . حيث كان لها درس عام أسبوعي ، في حماة كان يوم الثلاثاء ، وعندما انتقلت إلى السعودية كان يوم الأربعاء ؛ بين مكة وجدة . وفي أحيان كثيرة – إن تطلّب الأمر – درس خاص يومي وذلك لمن قصدتها تريد دراسة فقه العبادات وعندها ظروف دراسية أو وظيفية تمنعها أن تتواصل أسبوعياً، أو أخت آتت من بلد آخر وفترة إقامتها قليلة وتريد أن تنهل من هذا العلم . فكانت تستقبلهم صباحاً أومساءً حسب ظروفهن ، بكل صدر رحب ، وتجلس معهن الساعات الطويلة دون كلل أوملل ، ومن ثمّ تودعهن بمثل ما استقبلتهن به . يقول أحد الصالحين : " عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو " . يقول عنها معظم تلميذاتها : إنها أينما حلّت – آنسها الله برحمته – كان لمجلسها عبير خاص يعبق بالأنس والروحانية ، مابين موعظة وحديث شريف ، أو تفسير بعض ما تيسر من القرآن الكريم ، أو توضيح مسألة فقهية، أو الرد على بعض الاستفسارات والأسئلة الشرعية ، حيث يتحول المجلس الذي تجلسه إلى ندوة يستفيد منها الجميع . ربّت كل من حولها لا بعلمها وقولها فحسب ؛ بل بسلوكها وأخلاقها، فكانت نعم الأم النزيهة ، والمربية الفقيهة ، التي تربينا فقها وعملاً في التربية والسلوك والتعامل ، وكانت في ذلك خير مثال حي لنا جميعاً .

* إيمانها العميق :

كان إيمانها وحبها لله فطريا صقله العلم والمعرفة بالله . تحب الله وتخشاه ، وقد قال سلفنا الصالح : " ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم الخشية " . أي ليس العلم صورالألفاظ ، إنما المقصود فهم المراد منه ، فذاك يورث الحب والخشية من الله . يقول سبحانه : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ . (فاطر– آية ٢٨) ربانيةً قلباً وقالباً ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولكن كونوا ربانيين ﴾. (آل عمران آية ٧٩) . كانت متمثلة ملتزمة بهذا الوصف القرآني .والعبد الرباني الذي دائما

حاله مع الله يقول : (يا رب إن أعطيتني شكرت ، وإن ابتليتني صبرت ، وإن أمرتني أطعت ، مستسلم لما تختاره لي ، مفوض أمري إليك) . وأشهد أنها كانت ذلك بحق ، جديرة بالانتساب إلى أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، والذين سماهم الله تعالى " الحمّادون " ، فقد كانت تحمد الله على كل حال ، دائماً مطمئنة ، شاكرة لأنعمه سبحانه في كل وقت وحين ، لديها صبر عجيب ، ويقين كامل ، وإيمان راسخ ، وقد ورد أنه من أعطي الصبر فقد أعطي نصف الإيمان ، ومن أعطي اليقين فقد أعطي الإيمان كله ، يقول الله عز وجل في هؤلاء : ﴿ والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ . (البقرة– آية ١٧٧) صدقوا الله بإيمانهم ، واتقوا الله بعبادتهم وسلوكهم وأخلاقهم.

كانت ترى كل أمر يمرُّ عليها خيراً، وتردد قول الله تعالى : ﴿ عسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم ﴾. (البقرة –آية ٢١٦) ﴿ عسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾. (النساء– آية ١٩) راضية عن ربها في جميع أحوالها . يقول الإمام الغزالي رحمه الله : مقام الرضا من ثمار المحبة وهوأعلى مقامات المقربين وهو يورث رضوان الله كما أخبر بذلك سبحانه : ﴿ ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾. (التوبة– آية ٧٢) ، وقد ورد في الأثر " من رضي بَقَدرِ الله أعطاه وكافئه سبحانه على قَدرِه " .

وكانت رحمها الله إن رابها أوحَزَبَها أمر هرعت للصلاة ، وسنة قضاء الحاجة ، وكأنها تستمد منها السكينة والنور وقراءة الأربع عشرة سجدة في جلسة واحدة وسجودهن ، وإن تعسّر عليها أمر أكثرت من سورة يس والصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام ، والاستغفار واللطيفية ، مع التفويض الكامل لله والإكثار من لا حول ولا قوة إلا بالله.

إن أنت رأيتها رأيت سمتا مليئا بالسكينة والهدوء والطمأنينة حتى في أحلك المواقف ، وقلبا ممتلئاً بالرضا والتسليم ، يفيض على الوجه بشاشة وتبسماً، فيزيده بشراً وجمالاً ، وهيبةً ووقاراً . فصيحة اللسان ، واضحة البيان ، قولها عمل . وقد جاء في الأثر : " إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة ". وإن كنت في شدة أو ضيق حال ، ونظرت إليها سرى إليك من روحها برد وسكينة فتشعر بالراحة والطمأنينة . حالها حال المربي المرشد . إن تكلمت توجهك وتعطيك بكلمات معدودة وقوداً للصبر ، وإن صمتت فمع القرآن والذكر . فقد كانت رحمها الله ممن أكرمهم جلّ وعلا بالإيمان العميق ، ووفقهم للالتزام بالتقوى والورع والإخلاص ، والتعلق به وحده ، والالتزام بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم في شؤونها اليومية الدينية والدنيوية مع الديمومة على ذلك، والاستقامة على نهج الله وشرعه هي عين الكرامة كما قال سلفنا الصالح.

* الثبات والصبر في المحن :

قال تعالى : ﴿ وبشر الصابرين ¤ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ¤ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾. (البقرة –الآيات ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧) .

واجهت في حياتها محناً ومصائب عائلية كثيرة متنوعة ومختلفة ، فكانت تسكب دموعها بصمت ، لا يشعر بها إلا من يأتيها وجهاً لوجه ، وكنت أسمعها تقول دائما : " لا راحة لمؤمن إلا بلقاء الله ". وتحدثنا دائماً بأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد بلاءً ، فقال عليه الصلاة والسلام : " أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، فيبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان دينه صلباً زيد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة يبتلى على قدر دينه ". (رواه الترمذي) . والأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ولكن ميراث النبوة والعلم والابتلاء ،

فمن قلَّ نصيبه من الابتلاء قلَّ نصيبه من ميراث النبوة ، فكلما زاد الابتلاء ، اقترب العبد من درجة الأنبياء ، وإن عظم الجزاء مع عظم البلاء . هذا ما وعته تماماً من فقه المحن فكانت مثالاً حياً للسلف الصالح في السكينة والصبر، والثبات والشكر .

عندما بلغها فقدان ابنها الشاب خالي سالم – وكان وصول هذا النبأ في بداية الثمانينات من القرن الماضي – قامت بسكينة تامة وتوضأت وصلت مسلمة أمرها لله محتسبة فلذة كبدها عنده . وقد روت لي إحدى تلميذاتها المقربات كيف تلقت جدتي هذا النبأ المفجع وكيف تعاملت معه ، حيث إنها زارتها في تلك الفترة فلم تلحظ عليها شيئاً، سوى أنه لما أتى ذكر الحج لذاك العام اكتفت قائلة أمامها : "سأحج عن ابني سالم هذا العام"، فعرفت عند ذلك علمها بالأمر . وأكملت لي الأخت الفاضلة أنه من شدة صبرها واحتسابها أن التبس الأمرعلى التلميذات الأخريات حتى أن إحداهن سألتها : "هل علمت الحاجة أم محمود بنبأ سالم رحمه الله!". فروت لهم – جزاها الله خيراً – الذي رأته من أمرها . والله لا أتمالك نفسي إلا أن أقول : (لله درك يا جدتي! أي نوع من النساء أنتِ؟) . لقد أعادت لنا سيرة أسماء والخنساء . قدّس الله سرّك ونور ضريحك ورحمك سبحانه رحمة واسعة.

ومن المحن التي مرت بها أنها ابتليت مع ابنتها الصغرى أسماء – والدتي حفظها الله وأمدّ في عمرها – بزوجها الذي هو والدي رحمه الله الدكتور محمد سلمان النجار . الذي أصابه مرض عضال (التصلب اللويحي) كما أسلفت ، من بداية زواجه من والدتي وقبل أن تبلغ العشرين من عمرها ، وهو مرض عزّ فيه الدواء وحار بعلاجه الأطباء في ذلك الحين.

كان والدي رحمه الله طبيباً حاذقاً، يعرف خفايا مرضه ومستقبله ، وكم يعيش صاحبه ، وأنه يؤدي إلى شلل كامل تدريجياً في جميع أنحاء الجسم ، ما يعني الوفاة لاحقا ، وليس من دواء يضع

حدّاً لهذا الدّاء في حينه . أذكرها عندما كنت طفلة صغيرة، كيف كانت دائمة التصبير لوالديَّ ومنحمهما الأمل ، بأن الأمر متعلق بالله وحده فهو الشافي ، وهو سبحانه الذي وضعه قادر على أن يرفعه ، لايعجزه شيء وهو على كل شيء قدير ، وأن هذا الأمر خير وفيه حكمة بالغة يعلمها الله . وكانت دائمة الدعاء له بالشفاء والثبات ، وتوصي أمي بوالدي دائماً خيراً . وأشهد أنها كانت لها مكانة عظيمة ومحبة خالصة في قلب والدي رحمه الله ، احتراماً وتقديراً لها، فأسمى والدي أختي الوسطى باسمها ولقبها حباً وسيادةً لها في قلبه، لإيمانها وعقلها وعلمها وحكمتها، زيادة عن أنها زوجة شيخه وحبيبه ومرشده الشيخ محمد الحامد .

بعد وفاة والدي رحمه الله عام ١٩٨٧م بجماة ، وحيث إنها قبل ذلك بسنوات كانت قد انتقلت إلى السعودية ، لم يعد يهنأ لجدتي حال ولم يهدأ لها بال حتى ضمتنا إليها، أمي وأنا وأخوتي جميعاً، وجنّدَت نفسها أنها مسؤولة عنّا، وأحسنت إلينا إحساناً عظيماً بكل ما في هذه الكلمة من معنى . وكان القائم معها على شؤوننا صاحب الفضل والمعروف علينا خالي الشيخ أمين أمدّ الله لنا في عمره، وبارك له في ذريته.

ومن بعض ما مرّ بها أيضا ، مصابها الجلل بابنتها الكبرى عفراء خالتي أم معاذ رحمها الله ، حيث أصيبت بمرض سرطان الثدي ، وذلك في عام ١٩٩١م ، وكان في تلك الفترة من الأمراض النادرة حمانا الله وإياكم من كلِّ مكروه ، والذي لا يخفى خطورته ومدى آلامه على الجميع . بدايةً عندما بلغها الخبر قالت رحمها الله بإيمان وتسليمٍ لله : لا حول ولا قوة إلا بالله. . . . ومن ثمّ كانت دائمة التصبير والتثبيت لخالتي رحمها الله ، تشدّ من أزرها وتخفف عنها ، وتسهر على مرضها ، وترقيها بالقرآن . بعيدةً عن التسخط، دائمة الشكر لله ، تبكي وهي ترى ابنتها تتألم ، ولكن القلب راضٍ بقضاء الله وقدره ، لسانها يلهج بالدعاء والشكر ، وقلبها مستسلم لله مليئ باليقين والصبر.

ثمّ فجعت بابنتها التي اختارها سبحانه إلى جواره ، عام ١٩٩٣م، فكانت جدتي – رحمها الله – من يصبّر زوجها وأولادها، وتخفّف عنهم المصاب وتوصيهم بالصبر ، وتستقبل العزاء بصبرٍ وثبات وإيمان راسخ ويقينٍ بقضاء الله وقدره . ومما حصل – ونادراً ما يحصل في هذا الزمن – أن صهرها الشيخ العالم الفاضل محمد مصطفى المراد زوج ابنتها المتوفاة رحمها الله ، بما أوقعه الله بمحبة لها في قلبه لإيمانها وسلوكها ، لمّا أراد أبناؤه حفظهم الله تزويج أباهم بعد وفاة والدتهم الفقيدة ، من السيدة الفاضلة الدكتورة أميمة عدي أم عامر حفظها الله ، أبى إلا أن يستأذنها في ذلك . وأبت السيدة الكريمة أم عامر أن ترضى إلا بموافقة جدتي ، فأذنت بذلك رحمها الله ، بإيمان قوي وقلب كبير سخي ، وباركت هذا الزواج وكانت دائمة الزيارة لهم ، لم تقطعهم أو تنقطع عنهم . والعلاقة بين جدتي والخالة أم عامر كانت علاقة راقية ملؤها الحب والإحسان ، يغمرها الود والبر والاحترام ، إنه ثمرة الإيمان القوي الراسخ الذي يصنع العجب . وأشهد أنها في محنها الشديدة ومع كل ما كانت تحمله من ألمٍ وأسى حيث تكون المصابة والمتضررة الأولى ، كانت تطمئن بنفسها على طعامنا وشرابنا ومنامنا ، لا يثنيها حزنها أن ترانا على أحسن حال، بعيدين عن الحزن ، وكأنها تريد أن تحمل وتتحمل عنّا كل شيء بقلب يغمره الحب والحنان ، ونفسٍ ثابتة الجنان تفيض بالصبر والإحسان.

وأما عن بقية أولادها أخوالي حفظهم الله ، فقد تفرّق شملهم في البلاد، فصبرت على مرارة بعدهم عنها واحتسبتها هجرة في سبيل الله ، ولم يبقَ عندها إلا خالي الشيخ أمين القائم بجميع أمورها ووالدتي التي كانت ظلّها الدائم وسندها القائم . أبقاهم الله جميعهم لنا سنداً وعزاً وذخراً .

ومن بعض ما مرّ بها أنها مرّت بمواقف حرجة كثيرة في صحتها ، وكنت أرى الدكتور يتكلم أمامها عن خطورة ما تمرّ به ، فأراها ساكتة هادئة ، لا تسأل سؤالاً واحداً عن عاقبة أمرها ، وكأن الأمر لا يعني شخصها ، ونحن في خوفٍ وهلعٍ عليها تكون هي مطمئنة ، وتقول لنا : " كل شيء خير ولا يكون إلا الذي كتبه رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله " .

حقاً . . . ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ .(الرعد آية - ٢٨)

* برنامجها اليومي وأورادها :

مذ وعيتها أوقاتها عامرة بذكر الله بين صلاة وتسبيح ، وقراءة وأذكار، وسماع للقرآن ، أو برامج مفيدة ، دائمة التلاوة والأختام ، محبة لله ورسوله . تنتظر الصلاة إلى الصلاة ، تحرص على سماع الأذان وإجابته ومن ثمّ تقوم لتؤديها بخشوع وطمأنينة وسكينة . قال بعض الصحابة رضي الله عنهم : " يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذّة " . تحرص على أداء الصلوات المكتوبة في أول الوقت مع النوافل ، والأذكارالمأثورة بعدها . تبدأ بالقيام في ثلث الليل الأخير للتهجد والدعاء ثم صلاة الصبح . وبعد وردها الصباحي تنام إلى حوالي الساعة الثامنة صباحاً ، ثم تستهل يومها بصلاة الضحى ، وقراءة القرآن ، وتنتظرنا رحمها الله حتى نستيقظ لنتناول الإفطارسوياً . ثم تتوجه لشؤون المنزل مع الذكرالدائم لله خلال ذلك . وبعد صلاة الظهروالغداء تأخذ قيلولة ، ثم تصلّي العصر وتنشغل إما بسماع برنامج ديني أو قراءة أحد الكتب الشرعية. ثم صلاة المغرب وإحياء مابين العشاءين بصلاة الأوابين وأوراد المساء (التسبيحات ، وقراءة سور يس والدخان والواقعة وخواتيم سورة الحشر مع تبارك) .

أتذكرها عندما كنت صغيرة دون الثامنة كانت تطلب مني ومن جميع الأحفاد الموجودين أن نقرأ هذه السور من المصحف بصوت عالٍ ، تشجيعاً لنا على مشاركتها ذلك ، وكنت أسعد بذلك جداً وانتظر بشوق هذا الوقت ، وإلى الآن أجد أثره الطيب في نفسي . ثمّ تقوم إلى صلاة العشاء، وبعد ذلك تتناول طعام العشاء مما تيسر ، وتحرص على النوم مبكراً، وكانت دائماً تحثنا على ذلك ، وتنكر علينا السهر لأنه يذهب البركة ويمنع قيام الليل . كما جاء في الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اللهمَّ بارك لأمتي في بكورها " . (رواه أبو داود والترمذي وقال حديث

حسن) . وفيما يتوفر من وقت بين هذه الفترات خلال ساعات النهار والليل كانت تكثر من الاستغفار والتهليل والصلاة على الرسول وقراءة القرآن مرات متعددة ، لاسيما يوم الجمعة.

كان لسانها دائماً رطباً بذكر الله، في جميع أحوالها وسكناتها، حلاً وترحالاً، وقد رافقتها كثيراً في سفرها وحضرها لاتغفل عن أذكار الخروج والدخول والركوب، لسانها دائماً يلهج بالذكر . هكذا كان يومها وليلها رحمها الله رحمة واسعة.

* سلوكها وصفاتها :

كانت – قدس الله سرَّها – ممن نهض حالها، ودل على الله مقالها . محبة للعلم شغوفة به تقضي جُلَّ أوقاتها بين الكتب الشرعية والعبادة . صريحة لطيفة ، صادقة بأقوالها وأفعالها وأحوالها ، قال تعالى : ﴿ والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما ﴾ . (الفرقان– آية ٧٢) دائماً يتطابق قولها مع فعلها ، مما كساها هيبة ومحبة في قلوب الناس جميعاً . حليمة رفيقة تُحبّب إلينا حسن الخلق وتحثَّنا عليه وهو أن نصل من قطعنا ، ونعفو عمن ظلمنا ، ونعطي من حرمنا، وأن لا نتعامل مع أحد بالمثل . يقول صاحب إحياء علوم الدين : " إن هذه الأمور شاقة على النفس ولا يصل إلى هذه الدرجة إلا المقربون والصديقون " .

وأشهد أنها كانت مثالاً حياً في ذلك ، لا تسيء لمن أساء إليها بل تبتسم في وجهه عند لقائه ، وتحسن إليه ، فقلبها عامر بالله مشغول عن الخلق بحب الخالق. يقول الله سبحانه وتعالى في حسن الخلق: ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا و يدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴾. (القصص – آية ٥٤)

وتقول لنا دائما : " كل إنسان له عمله ، والله سبحانه لا يضيع عنده مثقال ذرّة " ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ¤ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾. (الزلزلة الآيات ٧، ٨) . تتعهادنا دائماً بالصبر ، وتشد من عزيمتنا في أمرنا كله ، في صبرنا على طاعة الله ، وحسن الخُلُق في التعامل مع الناس ، وتذكرنا بالثواب العظيم في ذلك . وكأني بها الآن أمامي تقول مواسية لنا من حديث رسول الله عن سنن الحياة : " لن يخلو المرء من ضدٍ ولو ابتغى العزلة في رأس جبل" . توصينا بالتقوى دائماً وتقول : " إنها رأس الأمر كله "، وتردد : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾.(سورة الطلاق آية ٢-٣)

لا ترى لنفسها شأناً فلم أذكر أنها حدثت عن نفسها مرةً واحدة.وعندما كنت أثني عليها بشيء قليل مما أراه فيها ، كانت ترد ذلك بصدق وإصرار قائلة : " أعانني الله ورحمني ، من أنا . . . !؟ "

كثيرة الحياء والأدب. روي عن طفولتها أنها كانت تستحي في بيت أبيها أن تجلس إلى الطعام من تلقاء نفسها إلا بعد مناداتها أدباً منها و حياء . تقدر النعمة وتحفظها، لم تكره طعاماً قط، ولم ترم طعاماً أبداً. كريمة اليد تبذل بسخاء وكرم وإيثار ، ولا تقيم وزناً لدرهمٍ ولا لدينار . شكورة عفيفة النفس رضية . تحب البساطة وترضى بالقليل ، ومما يتيسر . زاهدة في الدنيا دائماً تردد : "زوال. . . راحلين. . ." لا تتهاون في شيء من أمور الدين ، تغضب وترضى لله . بعيدة كل البعد عن الدنيا وأحاديثها ، وأسواقها وصخبها ، لا تخرج إلا لضرورة. وكم كانت بعيدة عن لغو ولهو المجالس ، يقول الله تعالى : ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾. (القصص- آية ٥٥) . وقورة، تكره الفضول ، لو تكلم أحد أمامها عن أحوال الناس تقول : " لا تدخلونا في غيبة أحد أبعدونا عن ذلك " . لها قلب سليم ، وتحسن الظن

بالجميع ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون ¤ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾. (الشعراء – الآيات ٨٨، ٨٩) .

وكانت – رحمها الله – تأخذ بالعزيمة لأمرها، فإذا قالت لا وغُلِبَت على أمرها وشُرِع بالعمل لا يكتمل بل يتوقف . أذكر قصة عنها كيف أنها لا تحب الصور أو تعليقها لأن الملائكة لا تحضر المكان الذي فيه صور، لذا لا تحب التصوير إلا لضرورة . فمرة أراد أحدنا التصوير فقالت لا، فكنا نرجوها ، وبدأنا، فإذا بالكاميرا تتوقف والفيلم يحترق! . وقد حصلت قصص كثيرة مشابهة لما ذكرته .

* توجيهها التربوي لنا :

أشرفت على تربيتنا منذ نعومة أظفارنا بسبب ظروف والدي الصحية ، حيث لم أعِ طفولتي في سوريا إلا في بيتها، وكان في ذلك خيرعميم لنا، حيث تربينا عندها وقد شرّفنا الله بذلك ، وقد كان لها تأثيراً بارزاًعلينا في تنشئتنا ، فقد كانت لنا أماً مع أمي فلها عليَّ وعلى أخوتي فضل التربية والتعليم .أنشّأتنا على حب الله ورسوله ، وزرعت فينا الإيمان والصدق والأمانة ، وحفظتنا الكثير من القرآن ، وقد حبب لها تحفيظ النشء ، وكانت تكافئنا على ذلك ، وتفسر ما تحفّظه لنا ، وتسرد علينا الكثيرمن قصص الأنبياء . وكانت دائمة التذكير لنا منذ أن ينادي المؤذن قائلة : "الصلاة. . . الصلاة. . ." وكلّ ما مر أحد منا أمامها تسأل "هل صليت؟ هل صلّى فلان؟ "، ففي الحديث الشريف يوصي رسول الله صلى عليه وسلم أبي هريرة قائلاً له : " يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق "(إحياء علوم الدين ج١ ص١٧٥) . والرزق كلمة جامعة شاملة للعلم والمال والصحة والبركة. . . . إلخ . وتوصينا أن نؤديها في أول وقتها ، وأننا إذا سمعنا النداء أن نترك كل ما بيدنا وتتجه إلى الصلاة ، وببركة ذلك تتيسر جميع الأمور . وقد ورد أنه من حافظ على

الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نوراً وبرهاناً يوم القيامة ، ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان – والعياذ بالله –.

وتقول لنا: " إن للطاعة بركة عظيمة ، فبفضلها يكون العمل ميسراً موفقاً مباركاً ". ومازال صوتها يرن بمسمعي إلى الآن : " إن الله قد خاطب الدنيا : يادنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه ".

تسارع دائما للخيرات وتقدم واجب الله مقدّم على كل شئ، وكنا نلمس بركة مسارعتها للطاعة ، ولا عجب من ذلك فهي المطبقة للقرآن والسنة قولاً ومنهجا وسلوكا ، يقول الله سبحانه : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾. (النساء– آية ٦٩) وكانت دائمة التذكير لنا بأنه ما من ساعة تمر بابن آدم لا يذكر فيها الله تبارك وتعالى إلا كانت عليه حسرة وندامة يوم القيامة . وكانت دائماً توصينا الإكثار من قراءة القرآن لشأننا كله ، وسورة يس لتيسير أمورنا ، حيث كانت دائمة القراءة لهذه السورة العظيمة التي هي قلب القرآن الكريم كما أخبرنا بذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم ، لا يكاد يخلو يوم إلا وتقرؤها مراراً وخصوصاً بنية الفرج لمن قصدها بالدعاء أن يفرج الله عنه وعن جميع المسلمين.

* لطفها وحنانها :

لها قلب كبير وحنان وارف ، يزينه حكمة وعقل راجح . عاطفة وروح لطيفة وحلم ، مع عقل راشد ووعي وعلم . عوضتني وأخوتي – رحمها الله – عن حنان الأب ورعايته بعد وفاة والدي – رحمه الله – فكانت لنا نعم الأب الصالح والمربي الحنون ، اعتنت بتنشئة أخواتي الصغار وأولتهم حنانها ورعايتها، وأغدقت علينا من عاطفتها الجياشة والكرم الكثير الكثير ، طيب الله ثراها . لا أنسى دفء يدها الحانية ما حييت – حتى بعد أن تزوجت – إن بتُّ وكنت مريضة أو

مهمومة ، أصحو في جوف الليل على يد تحنو على رأسي ، تقرأ القرآن وتلهج لي الدعاء بالفرج . وهكذا هي معنا جميعاً تعطينا الحنان ، مستعينةً لكلِّ أمرٍ بالقرآن . لها وجه سموح طلق يهش ويبش للكبير والصغير ، فأحبها الجميع ، لطيفة المعشر، لينة الجانب ، مع أخلاق كريمة رفيعة سمحة. كم أحنُّ لذكراها رحمها الله ، عندما كنت آتي إليهم مع أولادي كيف كانت تستقبلنا بمحبة وحفاوة شديدتين . وكم أشعر بالحنين لها رحمها الله عندما أتذكر كيف كانت تبدي شوقها ولهفتها وعتابها الرقيق المحبب إلي ، إذا مضت أيام قليلة ولم أرها، قائلة لي : " لماذا تأخرت علينا ، اشتقنا لك ألم تشتاقِي لنا . . . " فلا عجب من الفراغ الذي تركته في نفوس الكبار، ولكن العجب كيف امتلكت أفئدة الصغار ؟ ! . فقد كانت تستقبل ابنتي الصغيرة سارة ذات العامين ، قائلة لها بابتسامة ونغمة محببة : " سارة يا سارة يا زينة كل الحارة " . وتداعب ولدي حمزة حيث كان قريب عهدٍ بدخول المدرسة قائلةً له : "هل ذهبت إلى المدرسة لماذا لم تأخذني معك ؟ "، وتهتم بشؤونهم وضيافتهم وتكرمهم بكل حنان وترحاب . ولو قدر لحفيدها براء الصغير ذي الأربعة أعوامٍ والذي يعيش معها في البيت – ابن خالي الشيخ أمين – أن يعبر عن مدى افتقاده لها وحزنه عليها ، لأثار الشجون وأذرف العيون ، فما زال يسأل "متى ستعود جدتي . . . ؟ اشتقت لها كثيراً، لن أفعل ما يزعجها إذا رجعت ، فقط أريد أن تعود وأراها " (شقاوة الأطفال المحببة) .وذلك على الرغم من مرور ما يزيد على ثلاثة أشهرمن وفاتها، وكأنها مسافرة يحلم بعودتها . وابني الصغير حمزة الذي يأتي إلي مرات ومرات مُتلألأ الوجه فرحاً ليقول لي : " رأيت اليوم جدتي أم محمود في منامي مبتسمة ضاحكة " . فافتقاد الصغار وأحفادها جميعاً لها وحزنهم عليها، إن دلّ على شيء فإنما يدل على حبّهم الشديد لها، وتعلقهم بها ، ومدى ما أولتهم من حب ولطف وعناية وإكرام .وهكذا شأنها بعطفها وحنانها وقلبها الكبير مع جميع ضيوفها وصغارهم . اللهم بجبها ولطفها ورحمتها للأطفال ولنا جميعاً، أنزل عليها شآبيب رحمتك. . . . .اللهم ارحمها . . . اللهم ارحمها . . . اللهم ارحمها . . .

* دورها الإجتماعي :

كانت الأم لكل الأسر المغتربة في الخارج اللواتي يعرفنها ، تخفف عنهم آلام الغربة والابتعاد عن الأهل والوطن ، وتشعر كل من فقدت أمها، أنها الأم المحبة الرؤوم ، حتى الفتيات المتزوجات حديثاً كنّ يرين فيها الأم الناصحة الأمينة ، ولكل من قصدها كانت كذلك ، فقد كانت القلب الكبير الحنون تحمل هم المهموم وتتألم للمبتلى والمحزون ، تمسح دموعهم ، وتداوي جروحهم ، وتواسي آلامهم ، وتبعث الإشراق والأمل في نفوسهم . وفي حالة النزاعات الأسرية ، كانت المرأة الحليمة الحكيمة ، والمستمعة الرشيدة ، ذات العقل الراجح في لمِّ شمل الأسرة مجدداً، مما أنقذ العديد من الأسر من التفكك والضياع في هذه الغربة . كم سمعت هذه الكلمات تردد على ألسنة الكثيرات أنه بالنظر إليها وسماع حديثها ترتاح القلوب ، ويزول ما علق بالنفس من كروب .كان شغلها الدائم إذا حضرت المجالس إصلاح ذات بين في قضايا اجتماعية ، أو قراءةٍ على مريضٍ رقية شرعية ، أوتصبير مبتلى، بتذكيره بحب الله له ، والثواب العظيم والدرجات العلى ، يقول الله تعالى : ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراًعظيماً ﴾. (النساء- آية ١١٤) وقد جعل الله شفاء الكثير على يدها - أطفالا وكبارا، حتى الرضع الذين يجافيهم النوم - وذلك إما بقراءتها آيات قرآنية مباشرة على المريض أو إرسال ماء مقروء عليه للمحتاج. لا تتأخر في بذل كل ما بوسعها - حتى وإن كانت مجهدة - لمساعدة من حولها والتخفيف عنهم . وقد جمع الله لها القلوب فكل من رآها أحبها واستفاد منها، ومنحها سبحانه القبول في النفوس ، فإن تحدثت أنصت الجميع بمحبة ومهابة ، وتوَحَّد حديث المجلس . وإن رأت منكرا تنصح سراً بلطف ولين ، وتقبل نصيحتها وتشكر على ذلك . أذكر قصة روتها لي والدتي - حفظها الله ورعاها - أنَّ جدتي رحمها الله كانت مرة في مناسبة عزاء، وكانت إحدى الحاضرات المعزيات تقرأ قصيدة نحيب ورثاء للميت بما معناه : (فارقت الأهل والأحباب. . .

وتركت الدور والقصور. . . وغدوت في دار القبور) وتَبكي وتُبكي كل من حولها، لحزنها على الميت . فأقبلت جدتي في اليوم التالي إلى الأخت سراً قائلة لها بكل لطف وتودد : " يا عيني لا يجوز هذا الكلام ، فهو منهي عنه شرعاً لأنه نواح ، وقد نهينا عن النواح ، هو الآن يتنعم في رياض الجنة بأعماله الصالحة ، ولا يشعر بالقبر ولا وحشته ، وقد أبدله الله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله " . فما كان من الأخت الفاضلة إلا أن اعتذرت ، وأنها لا تعلم بذلك وشكرتها . وكانت رحمها الله لا تنسى أحداً من دعائها وخصوصاً لمن أوصاها، أو سمعت عن أحد أنه في كربة ، ولاسيما في ثلث الليل الأخير، وتدعو لجميع المسلمين في أقطار الأرض بالفرج والعزة . حتى الأموات. . . عندما تهب ثواب القرآن أو الذكر، دائماً تذكر الأشخاص بالاسم فرداً فرداً ، ذكوراً وإناثا ، وعائلةً دون كلل أو ملل ، ومن ثمّ تهدي الثواب أيضاً لجميع أموات المسلمين في أرجاء المعمورة ، وتقول لنا: " إن الأجر والثواب بعدد من ذكرنا من الأموات " .

الفصل الرابع

مرض الوفاة والمبشّرات

* مرض الوفاة :

من نسمات الطفولة إلى عطاء الشباب ثم إلى روحانية الكهولة. جهاد متواصل ومتجدد ، لا يثنيها ضعف ولا وهن عن بذل كل ما بوسعها، ولكن كل حيٍّ يموت . فلكل أجل كتاب ، سنّة الله تعالى في خلقه ، فقد أتَمّت رسالتها، وأشهد أنها أحسنت أداءها ، وشاء الله لهذا الجسد المتعب أن يستريح من عناء السفر ، فقد آن لهذا الفارس أن يترجل، وأن تضع رحالها في المحطة الأخيرة وتنتهي من دار الحزن والبلاء ، مختارها سبحانه وتعالى إلى جواره.

يوم الخميس بتاريخ ٢١ محرم لعام ١٤٣١هـ (الموافق ٧ كانون الثاني ٢٠١٠م). كانت البداية بسيطة جداً ، حيث إنها في ظهر ذلك اليوم قامت من مجلسها فتعثرت ووقعت على جنبها الأيسر وقعة خفيفة ، حتى إنها وقفت مع والدتي بيسر وهي مبتسمة وتقول : " الحمد لله على ستر الله " . وما هي إلا ساعات قليلة إلا وازرق جنبها – نزف داخلي – وبدأ بالانتفاخ ، وأصبحت تشكو آلاماً شديدة من جميع أنحاء جسدها ، فهرع بها خالي الشيخ أمين ووالدتي حفظهما الله إلى مشفى جامعة الملك عبد العزيز في جدة بسيارةالإسعاف ، فطمأننا الأطباء أن الوضع سليم ولا توجد كسور ، واكتفوا بمسكنات خفيفة لأن قلبها لا يتحمل . وعادت إلى المنزل ، وبقيت يومين عانت خلالهما آلاماً مبرحة في جميع أنحاء جسدها ، وتفتقت الكدمة المنتفخة قليلاً وأصبحت ترشح دماً؛ نتيجة تناولها المسبق لحبوب تمييع الدم ، وبدأ اللون الأزرق الداكن ينتشر في الظهر والبطن وباقي أنحاء الجسم مما استدعى نقلها ثانية بسيارة الإسعاف إلى مشفى الجامعة ، وبعد الكشف الطبي عليها قرر الأطباء إدخالها للإقامة فيه عدة أيام . فكان دخولها يوم السبت ٢٣ محرم ١٤٣١هـ (الموافق ٩ كانون الثاني ٢٠١٠م) العاشرة ليلاً ، وبدؤوا بإجراء تحاليل طبية وصور أشعة لها

. وخلال فترة جلوسها في المشفى أصبح الرشح من الكدمة جرحاً مفتوحاً، وذلك بسبب معاناتها القديمة من مرض السكر الذي كان عاملاً في تهتك الجلد الذي يصعب معه التئام الجرح وإن كان صغيراً. ومما نقلته والدتي عنها في هذه المحنة أن آلامها المبرحة لم تنسها حسن الخلق الذي تتمتع به فكانت تغمر الممرضات بالثناء عليهن والدعاء لهن – بما فيهن غير المسلمات – وتدعو لهن جميعاً بسعادة الدارين مما ترك أطيب الأثر لديهن . وأظهرت التحاليل فيما بعد أنها تعاني من نقص حاد في الدم ، حيث كانت قوة دمها منخفضة جداً ، فتم إعطاؤها عدة وحدات دم ، فتحسنت صحتها، وبدأت آلام الجسم تخف تدريجياً بعد أن كانت تعاني آلاماً جعلتها قليلة الطعام والمنام . واستطاعت بعد ذلك استقبال زوارها في المستشفى بحفاوة وترحاب ، وبدأت تستعيد نشاطها وحيويتها بالتدريج مما جعل الأطباء يتفاءلون بأن صحتها في تحسن مستمر، فأذنوا لها بالخروج من المشفى، ففرحنا لذلك فرحاً عظيماً . وكان ذلك يوم الثلاثاء ٤ صفر ١٤٣١هـ (الموافق ١٩ كانون ثاني ٢٠١٠م) عصراً . وكنت ممن شهد خروجها مع والدتي وأخوالي الكرام الشيخ أمين والشيخ عبد المعز، وذلك عندما نزلت من السيارة وكان كرسي العجلات ينتظرها لنقلها إلى المنزل ، فقلت لها : " ما رأيك يا جدتي لو تجربين المشي ونحن نساعدك ، فوافقت على الفور، ويا للعجب مشت بيسر وسرعة لم أعهده عنها منذ فترة طويلة ، فشكرت الله أنها عادت أحسن من السابق، ودخلت المنزل وسيما الراحة والسرور على وجهها، وشعرنا جميعاً بارتياح أن الأزمة قد انتهت ، وأنها عادت إلينا سالمة غانمة ، فنحن بخير مادامت هي بيننا بخير . وكنت أقول لها ممازحة أكثر من مرة : " يا جدتي سامحك الله شغلتِ بالنا عليك ، وتألمنا لما ألَمَّ بك ، وإن شاء الله أنت الآن بخير وزال السوء عنك "، فكانت تنظر إلي مبتسمة ابتسامة حنوٍّ وسكينة. وعادت تجلس بيننا وتستقبل محبيها، وتشاركنا الحضور بنشاط لم نعهده عليها منذ زمن ، واستمرت على هذه الحال لمدة عشرة أيام ، ونحن بفرح واطمئنان. بعدها بدأنا نشعر بتراجع شهيتها للطعام ، وبدأت صحتها تتراجع شيئاً فشيئاً وتظهر عليها علامات الإجهاد

والإعياء والألم، فعدنا بها إلى الطبيب المشرف عليها، فإذا به يقول إن الكدمة التي تحولت إلى جرح قد ظهر بها خراج ولابد من عملية تنظيف سريع له . وتمَّ إدخالها مستشفى جامعة الملك عبد العزيز بجدة مرة أخرى وذلك يوم الثلاثاء ١٨ صفر ١٤٣٢هـ (الموافق ٢٠ شباط ٢٠١٠م) قرب العصر . وبدأ ألمها يزداد لأن الدم الفاسد متجمع في الجرح ، وقد شكّل انتفاخاً من جديد مسبباً آلاماً مبرّحة أشد من سابقتها، كنا نراها كيف كان الدم المتجمع في الجرح يسيل بغزارة ، وكأنه نزيف ، وذلك حين إسنادها إلى جهة الجرح في السرير عند تبديل وضعها . وقاموا بإجراء تحليل دم لها فكانت النتيجة أن هناك التهاباً تسلل إلى الجسم بسبب تلوّث الجرح . كان لابد من عملية سريعة للتخلص من هذا الخرّاج الذي سبب آثاراً سلبية على الجسم . يوم الأربعاء ١٩ صفر ١٤٣١هـ (الموافق ٣ شباط ٢٠١٠م) وطيلة هذا اليوم كانوا يجهزونها لإجراء العملية وقد نقلوا لها ست وحدات بلازما .وكانوا يراقبون حرارتها على مدار الساعة ، لأن حرارتها كانت مرتفعة بسبب الالتهاب في الجسم ، ولكنها انخفضت تدريجياً وعادت لوضعها الطبيعي بعد وضع كمادات ثلج كثيرة على أطرافها . نقلت إلى قسم العمليات الأربعاء ليلاً ، وما هي إلا برهة قصيرة إلا وعادوا بها مرة أخرى لأنهم وجدوا أن قوة القلب لا تتحمل التخدير الكامل ، ولكن الجرح تزداد حالته تدهوراً وبالتالي حالة الجسم معه أيضاً . وفي صباح اليوم التالي قرر الأطباء إجراء عملية فورية لتنظيف الجرح بدون تخدير على السرير . يوم الخميس ٢٠ صفر ١٤٣١هـ (الموافق ٤ شباط ٢٠١٠ م) وسأدع والدتي حفظها الله تحدثنا عن ذلك وتصف لنا لحظات العملية ، فقد كانت أكثر من لازمها . نسأل الله أن يقبلها ويكتبها عنده من البارين.

تقول والدتي بارك الله فيها:

(حضر الطبيب الساعة العاشرة صباحاً، وقرر إجراء عملية فورية على السرير، وأن وضعها الصحي سيستقر بعد ذلك إن شاء الله . وطلب مني أن أخرج من الغرفة ، فوقفتُ إلى الباب ،

وبدؤوا بتنظيف الجرح ، كنت أسمع صوتها وهو يناجي الله بألمٍ شديد : " إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي " ، ومن شدة ألمها غاب صوتها ، وفقدت وعيها، فهرولتُ إلى الغرفة فإذا بالممرضات يربتن عليها وينادينها باسمها ، فعادت لوعيها من جديد ، ثم غابت مرة أخرى ثمّ عادت. . .

وقبل أن يغادر الطبيب الغرفة قال لي إن شاء الله يوم السبت تخرج معافاة) .انتهى كلام الوالدة حفظها الله.

لله درّك يا جدتي حتى وأنت على فراش الموت أبيت إلا أن تذكرينا سيرة سيدنا عروة بن الزبير . وبعد العملية ؛ على إثر تنظيف الخرّاج والذي أصبح جرحاً غائراً ، لم يعد يهدأ لها حال وأصبح الألم في ازدياد ، حتى المهدّئ الذي كان يُعطى لها لم يكن يأتيها بالسّكينة المرجوّة ، كما أنهم لا يستطيعون زيادة الجرعة بسبب ضعف قلبها . أتيتها عصر ذلك اليوم ففوجئت بها تتألم هذا الألم الشديد ، وحزنت كثيرا وتألمت لحالها ، ولعلمي بعظيم حبها للقرآن وسورة يس قرأتها عندها بصوت مرتفع فأغمضت عينيها وبدأت تقرؤها معي همساً ، ولكن شعرت أن للألم موجات فتارة يعلو صوتها بألم وهي تقرأ الآيات وتارة ينخفض ، ومع ذلك تردني إن أبطأت أو توقفت ، فكنت أفرح لذلك . ثم قرأت عندها أسماء الله الحسنى وكانت ترددها معي وعندما ترتفع موجة الألم كانت تردد يا واجد يا ماجد وتكررها – لا أدري لماذا هذين الاسمين تحديداً –، وعندما شرعت بقراءة التسبيحات أخذت غفوة بسيطة ، وما لبثت أن تنبهت لشدة الألم من جديد ، وقد شهدتها مع مدى آلامها المتزايدة كان دعاؤها لله خالصاً: "يالطيف. . . يالطيف. . .ياأرحم الراحمين ارحمنا. . . ياأرحم الراحمين ارحمنا. . .إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي. . .إلهي لا تدع نفس في ضيق إلا وتأتيها بالفرج. . ." وأدعية أخرى كانت ترددها . وكم كنا نشعر بألمٍ شديد لأنها خلال آلامها المبرحة التي كانت تعانيها ، كان لايمضي وقت قليل – حتى وإن كانت في غفوة ومع ندرة غفواتها – إلا وتوخز

إبراً، إما لتحليل، أو لإعطاء محلول سيروم ، أو لمصل دواءٍ عن طريق الدم . وبسبب قلة طعامها وشرابها كأن أوردتها قد جفت فكم من مرة وخزوها إبرة ثمَّ أخرجوها ليبحثوا عن الوريد من جديد . وعزاؤنا في ذلك أنه ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن المؤمن ما من شوكة يشاكها إلا جعلها الله له أجراً وكفارة . ولا أنسى ذلك اليوم كيف كانت تمد يدها لنا وكأنها تطلب المساعدة وقد أجهدها الألم وأعياها عن التعبير ، فكنا نعطيها يدنا، فتدع يدها في يدنا مُصَافَحَةً ، وتأنس لذلك وتسكن.

أتى يوم الجمعة ٢١ صفر ١٤٣١هـ (الموافق ٥ شباط ٢٠١٠م) وألم الجرح مازال شديدا ومستمرا حتى أن خالي الشيخ عبد الرحمن الذي أتى من البحرين على عجل لرؤيتها والذي كانت تتلهف لوصوله لم تشعر به من شدة ألمها . وقد لاحظ الأطباء أن وظائف الكلى والكبد غير مستقرة ، وكأن الالتهاب الذي سبّبه الخراج قد تسلل إليها ، فحقنت بمضادات حيوية قوية للسيطرة على الوضع وقرروا أنها تحتاج للنقل إلى العناية المركزة ، ولكن بانتظار غرفة فارغة. فكنا ننتظر بين لحظة وأخرى أن يتم نقلها، نبكي لألمها ، ونبتهل إلى الله وندعو ونلح عليه سبحانه أن تفرغ بسرعة غرفة لها في العناية المركزة . ووضعوا بجوارها جهازا طبيا خاصا وشاشة لمراقبة القلب والضغط موصولة بشاشة أخرى عندهم تنبئهم بآخر التطورات.

* ليلة الوفاة :

في مساء يوم الجمعة وبعد أن غادرها زوارها ، أصررنا على والدتي أنا وأختي فاطمة يسرى أن نأخذ دورنا بالمناوبة عنها ، وأن تذهب هي إلى المنزل لتستريح قليلاً لأنها كانت لا تنام إلا القليل وهي بجوارها ، فوافقت بصعوبة أن تذهب على أن تعود بعد ساعات قليلة . ما إن ذهبت أمي وبعد العاشرة مساءً إلا وبدأت نبضات القلب تصبح غير منتظمة ، والضغط في هبوط شديد ، وقد

أظهر ذلك الجهاز الذي بجوارها، وإذا بالأطباء والممرضات يهرعن جميعهم إلى غرفتها على عجل ، ودخلت جدتي إثر ذلك في نوم عميق.

وتحوّل القسم إلى جلبة وضوضاء ، ووضعوا لها جهاز الأوكسجين ، وطلبوا مني وأختي مغادرة الغرفة ، وقالوا إنهم سيأتون بأجهزة العناية المركزة إلى غرفتها، وفعلاً جاؤوا لها بذلك ، وكنا نضع أيدينا على قلوبنا خوفاً عليها وتخنقنا العبرات ، وندعو الله أن يشفيها وينجيها ولا يفجعنا بها . وعندما سألتهم عن التطورات ، بصعوبة أخبرونا بتوقف وظائف الكبد والكلى ، فاشتدت لوعتنا، وتضاعف حزننا، وانهالت دموعنا، وشعرنا أن قلوبنا ستتفطر شفقةً وحزناً ، وحسرة وكمداً عليها، ولكنها إرادة الله . وكنت كالغريق الذي يتعلق بقشة ، فعندما سألت الطبيب هل هناك أحد في مثل حالتها وعاد إلى الوضع الطبيعي؟ أجابني بنعم فلاشيء مستحيل على الله . فكان كلامه بصيص أملٍ أعطاني نوراً أضاء قلبي تفاؤلاً في شفائها وعودتها ثانية بصحة وعافية وكأن الطبيب قد لمس لوعة قلبي فلم يشأ أن يفجعني بها . وكنت كلّما اقترب شبح الموت من ذهني أبعده ، حباً لها وخوفاً على فراقها، وأقول لنفسي كما تحسن وضعها في المرة الأولى وخرجت بالسلامة إن شاء الله يتحسن وضعها مرة أخرى . ونلحُّ أنا وأختي بالدعاء، ونسأل الله لها السلامة والشفاء . ولم نشأ أن نتصل بأمي ونشغل بالها أملاً في تحسن حال جدتي ، وأن يستقر وضعها الصحي . وبتنا عندها في ذكرٍ وقرآنٍ ودعاء ، وقراءة سورة يس مرات عديدة ، ولكن بعد الفجر وقع في قلبي أنه النزاع ، لأني رأيت كيف أن القلب قد توقف ، فأعطوها صدمة كهربائية فعاد من جديد ، وعلى أثر رؤيا رأيتها بعد أن أخذت غفوة بسيطة. فسألنا الله أن يلطف بها بقلبٍ منكسر ونفسٍ حزينة ، وكان من حكمة الله تعالى وعنايته البالغة بنا، أنهم لم يجدوا غرفةً فارغة في قسم العناية المركزة فكم كنّا جميعاً ندعو بحرقة أن يسرعوا بنقلها إلى هناك ولكن لله تبارك وتعالى أمراً آخر. فكما كانت دائماً تقول لنا : " كل شيء خير "، فكان هذا خيراً عميماً لنا فما دام الأجل قد دنا ، فقد بقيت تحت أنظارنا حتى آخر

لحظة ونحن وفي ذكرٍ ودعاء وشعورنا أنها كانت تشعر وتستأنس بنا . وبعد صلاة الفجر أتت أمي وأختي ميمونة ، وعدنا أنا وأختي إلى البيت ، بدموع حرّى ، ولوعة وأسى، وقد انتزعنا انتزاعاً من عندها تلبيةً لأطفالنا ، وبقيت أمي وأختي بجوارها تقرآن القرآن عندها ، وتكثران من الصلاة والذكر والدعاء لها، إلى أن فاضت روحها الطاهرة إلى بارئها عزوجل . وكان ذلك في الساعة ٩:١٠ صباح يوم السبت ٢٢ صفر ١٤٣١هـ (الموافق ٦ شباط ٢٠١٠م) . فقد خرجت يوم السبت كما أخبر الطبيب سابقاً !، ولكن خرجت من سجن الدنيا إلى سعة الآخرة ، روحاً شفافة تطير بخفةٍ فرحةً مسرورةً بلقاء ربها ، وقد خلفت وراءها جسداً أنهكه الألم ، وجرحاً غائراً لم يلتئم بعد نحسبه أن يشهد لها عند بارئها بعد أن سطرت لنا حياة حافلة بالصبر والجهاد والمصابرة، والعطاء والثبات والمثابرة . راجين الله أنها غادرت دار الهموم والأحزان إلى دار الفرح والرضوان . والحمد الله على كل حال. اللهم اجعلها ممن قلت فيهم : ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ . (الفجر– الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠) .

* ومضات وإضاءات :

من الأمور التي لاحظتها على جدتي في مراحلها الأخيرة ولكني لم أدركها إلا بعد وفاتها رحمها الله رحمة واسعة وأحببت تدوينها :

– أنها في دخولها الأول للمستشفى التفتت إليّ فجأة وقالت : " الموت لا يذهب من بالي أبداً" . كأنها – رحم الله روحها الطاهرة – قد كوشفت بدنو الأجل.

– ومرة أخرى في أيامها الأخيرة ، كنت بجوارها في المستشفى فانتبهت رحمها الله فجأة من غفوة صغيرة وهي تقول : (محمود) . وسبحان الله قدر الله أن جمع الله لها في مرض الوفاة جميع أبنائها المتبقين ، أخوالي الأفاضل الكرام ، الشيخ عبدالمعز أتى من الأردن ورآها ، وخالي الشيخ عبد

الرحمن أتى من البحرين ورآها أيضا ، وخالي الشيخ أمين وأمي معها دائما، إلا خالي الشيخ محمود، فقد تعذر مجيئه لأنه فوجئ بانتهاء جواز سفره ويحتاج إلى شهر للتجديد . وكأنها علمت أنه الوحيد الذي لن تراه حين وفاتها فذكرت اسمه.

– ويوم الخميس قبل وفاتها بأقل من يومين تقريباً لاحظناها أنها كانت تردد مرات عديدة (عليك وعليها السلام) لا ندري على من تقرأ السلام . ورأيتها تحرك يدها كأنها تقطف شيئاً .

ولكن أكثر ما أثّر فيّ أنها في ذلك اليوم وهي في شدة ألمها كانت تمد يدها لنا، فكنا نمد يدنا إليها فكانت تمسك أيدينا وتهدأ لذلك ، وتسكن وتُبقي يدها في يدنا مصافحة لنا، ومازال أثر يدها في قلبي وفي يدي فكأنها والله تصافحنا مصافحة مودّع . رحمها الله رحمة واسعة وطيب الله ثراها .

* مبشرات:

مما نحسبه أنه من عاجل بشرى الله لنا ، وأنها إن شاء الله في رحمة الله تعالى ورضوانه ، وأنه سبحانه قبلها وقبل هجرتها ، أن القدر ساقها عند تغسيل جثمانها الطاهر – قدّس الله سرها – إلى قبلة المسلمين الأولى في مكة المكرمة ، في مغسلة المهاجرين ، وكان لي شرف المشاركة في التغسيل وقد تمّ بسرعة وسهولة ، وكأن الملائكة تساعدنا في ذلك . وقد شهد كل من رآها بعد وفاتها بنور ووضاءةٍ تملأ وجهها . وقد صلّي عليها فجراً بالحرم المكي وتلا الإمام في صلاة الفجر آيات من سورة يس . وكل من سمع وحضر ممن يعرفها شعر بروحانية وقشعريرة تسري في جسده ، وتذكر كم كانت تحب هذه السورة العظيمة ، وتوصي بها ، فقد كانت وردها ، وتقرؤها بنية الفرَج لكل الناس .فألهم الله الإمام قراءتها ، ونحسب ذلك كرامة لها وأنساً لنا .

وكانت معها مجموعة من الجنازات وقد ميزت عنهم بأنها سجيت باللون الأخضر . نحسب ذلك بشارة لنا من الله أنها شهيدة.

وكان مثواها الأخير قرب أمها السيدة خديجة رضي الله عنها وأرضاها، وهذا ما كانت تتمناه في حياتها رحمها الله رحمة واسعة . فقد سكنت في بداية مجيئها للسعودية في مكة المكرمة ، وكانت دائما تذكر لنا مقبرة (المعلاة) التي تضم قبور الصحابة ، وعلى رأسهم أمنا السيدة خديجة رضي الله عنها . فقد كانت رضي الله عنها قدوتها في صفاتها وخصائصها، وجميع صفحات حياتها، وكم كانت تقول: " هنيئا لمن صلي عليه بالحرم ودفن بقرب أم المؤمنين" .

ومن البشارات أيضا ما أنعم الله به علينا ببعض العلامات والرؤى الصالحة قبل وفاتها حتى تواسينا وتخفف من وقع المصاب الجلل على قلوبنا أحببت ذكرها ، ففي ليلتها الأخيرة كنا أنا وأختي فاطمة يسرى ممن شرفنا الله أن نكون بجوارها كما أسلفت ، و بعد أن دخلت جدتي في النوم العميق ، رأيت قطرة دمع كبيرة لفتت انتباهي في عينها ، وقد مرَّ معي فيما بعد – وكنت لا أعلم في ذلك الوقت عن هذا شيئاً – أن هذا عاجل بشرى المؤمن ، فقد ورد في الأثر : (ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه ، ودمعت عيناه ، ويبست شفتاه فهي رحمة الله قد نزلت به) . ورأت أختي ابتسامة تعلو وجهها وهي في غيبوبتها كابتسامة الطفل الرضيع النائم .

وكنا نكثر من الذكر والدعاء ومن قراءة القرآن وسورة يس مرات عديدة حولها ، فنزلت علينا السكينة، وأخذتني غفوة في الساعة ٤:٣٠ صباحاً ، فرأيتها تضحك وتقول يا مرحباً بلقاء الله ، فانتبهت من نومي ووقع في قلبي أنه النزع، وعندما أتت والدتي ، وأخبرتها بالذي رأيت ، مهيئة لها وقع المصاب ، قالت لي أنها قبل قليل وبعد صلاة الفجر في المنزل عندما كانت تقرأ وردها من الفاتحة الشريفة أخذتها إغفاءة بسيطة ، وإذا بلسانها يتلو : ﴿ قيل ادخلِ الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما

¤ غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾. (يس – الآيات ٢٦، ٢٧) وبعد سويعات قليلة من هذه الرؤى، فاضت روحها الكريمة إلى بارئها، فأنسنا لما رأينا.

وقد ذكرت لي ابنتي آمنة أنه قبل مرض جدتي رحمها الله رأت في بيتنا عزاء وأناسا كثيرين، وجدتي في المنتصف ترتدي ملابس بيضاء وأهل البيت يرتدون مثلها، وهي تقرأ القرآن وتدعو ، والحاضرون جميعهم يُؤمّنون على دعائها وقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) حاضراً بيننا يدعو مع دعاء جدتي ، فكان بعد ذلك مرض جدتي ووفاتها رحمها الله.

* الرؤى التي رؤيت بعد انتقالها إلى جوار ربها :

بعد وفاة جدتي بأيام – قدّس الله سرها – رأتها أختي الصغرى ميمونة أنها تمشي وبجوارها شاب وسيم جميل ، ففُسّر لنا أنه عملها الصالح ، فهرولت إليها أختي وهي تتلو : ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون. . .﴾، فقالت لها جدتي : " أنا معكم لم أمت ، أنا متُّ أمام الناس فقط " .

وإحدى الأخوات المحبات الصادقات والتي فجعت بها أيضاً رأت في نومها – وكانت قد باتت حزينة على فقدها – أنها أتت إلينا تعزي بها، وإذا بها تفاجأ أنها موجودة في العزاء بجانب والدتي ، فقالت لها باستغراب: " سمعت أنك قد توفيت "، فقالت لها جدتي رحمها الله : " أنا لم أمت ولكني غيرت رقمي ، هل معك ورقة وقلم لأعطيك الرقم ، وأعطتها رقمها "، وكانت دهشة الأخت الرائية في المنام عظيمة ، إذ أن الرقم التي كانت جدتي رحمها الله تمليه عليها أبيات شعرية وكانت جميلة جداً ورائعة ، فكانت تحدث نفسها في المنام أن هذا الرقم غريب كيف سأتصل بها ، وعندما سألنا خالي الشيخ أمين في تفسير هذه الرؤيا – وقد منّ الله عليه بهذا العلم – قال: "الأبيات الشعرية الجميلة الرائعة هو شعورها الجميل والرائع في الجنة ". ورؤى أخرى كثيرة لا مجال لذكرها تبشرنا حسن حالها عند ربها.

ومما نحسبه أنه من المبشرات أيضا أنه قد يسر الله لها من اليوم الأول من وفاتها حتى يوم الأربعين ، العشرات من أختام القرآن ليس من منطقة جدة فحسب بل من شتى البلدان ، أهديت إلى روحها الطاهرة رحمها الله رحمة واسعة ، وعمرات كثيرة من أبنائها وأحفادها وتلميذاتها البارات. وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يدلُّ – إن شاء الله – على إكرام الله لهذه المرأة الصالحة ، ولا نزكي على الله أحد .

اللهم اجبر كسرنا في مصابنا وعوضنا خيراً . اللهم اجعلها في عليين واجمعها مع زوجها العالم الرباني الشيخ محمد الحامد ، واجعلنا ومن أحبهم خير خلف لخير سلف ، نُنفذ عهدهم ونتبع نهجهم ونكون بعد مماتهم كما أحبونا أن نكون في حياتهم ، واجمعنا معهم بالفردوس الأعلى في مستقر رحمتك مع الذين أنعمت عليهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، بفضلك وكرمك وجودك وإحسانك يا أرحم الراحمين.

الفصل الخامس

رثاء حفيداتها وتلميذاتها

رثاء حفيداتها لها

كل أهل بيتها افتقدوها ، كبيرهم وصغيرهم ، بعضهم سالت دموعهم، وجفت أقلامهم ، وتجافتهم الكلمات والعبارات ، فلم يستطيعوا الكتابة . وبعضهم الآخر أحب أن يعبر عن مدى حزنه ، ولوعة قلبه بهذه الكلمات الصادقات التي تشع حبا وعاطفة :

" بسم الله والحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله . .

كنّا في قلبها وعينيها ملء السمع والبصر ، أنا وأخوتي مع أمي ، تحمل همّنا وتقوي من عزيمتنا وتشعر بالمسؤولية تجاهنا . فعند أي ملمة تلم بنا نهرع إليها مما يبعث فينا الطمأنينة والأمل ، وكأنّ الهم قد اندثر . إنها الظهر الملتجأ والسند الراسخ الذي عوضني عن يتم الأب.

لقد كانت لي المعلم ، من أول يوم وعيتها به إلى آخر نفسٍ فاض إلى بارئها . وكانت لي المربي والمرشد في كل حركة وسكنة ، وفي كل شدة وفرحة ، في جميع مراحل حياتها .حين أراها زوجة مجاهدة ، وأماَ جلودة ، وامرأة صالحة ، ومرشدة مصلحة ، واضحة الشخصية صادقة السلوك والاستقامة ، ظاهرها كباطنه ا، وباطنها كظاهرها ، إن تكلمت تقصد ما تقول ، فصيحة واضحة ، بصوت يريح المسامع ويفتح العقول ، وينساب إلى شغاف القلوب . فكيف بك إذا التقت عيناك عينيها الصريحتين اللتين تشع منهما الطيبة ، مرآة لصدق قلبها وسمو نفسها . راضية عن ربها بكل ما قسم وقدّر، وهي شاكرة ممتنة.

كان أكثر ما أثر في نفسي الفترة الأخيرة في المستشفى أني كنت أراها حين يشتد بها الألم جرّاء لوازم الفحص والعلاجات الطبية من القائمين على شؤونها من الممرضات والأطباء، لا أسمع منها سوى استغاثات بالله ، ومن ثم الدعاء لهم وشكرهم . كان هذا درساً عملياً لي كيف يرقى المؤمن

بنفسه ويجاهد سامياً في ضبطها، فتروض النفس على ما ربّيت عليه حتى في حال الضعف واللا وعي.

ولكم كنت أستأنس بها فرحاً حين أدعو لها بالعافية والنهوض لا يثنيها إعياؤها على الرد عليّ بالدعاء ولك مثل ذلك . حتى وهي على فراش الموت كنت أسمع آهاتها وهنّاتها ممزوجة بذكر الله وأدعية الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم، فمع شدة آلامها المتزايدة لا ينسيها ذلك أن تقول: (لا إله إلا الله، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) . والغريب أنها حين الاحتضار كنت أعرض عليها الماء بإلحاح ولكنها ترفض بشدة ، وكأنها قد رويت من أنهار الدنيا كلها . وحين سرى السكون أعضاءها ، وغابت عنّا في الساعات الأخيرة بوعيها – وقد علمت أنه النزع لبرودة تزحف في قدميها – أَسَرَ قلبي ذلك النور والإجلال الذي يحيط بها . إنه أمر لا يستشعر به إلا من أبصره ، سكينة وهيبة في جسدها ، نور وطمأنينة ينبثق من وجهها ، وبشرتها التي عادت كما لو كانت شابة ، تتفتق وجنتاها خيوطاً ورديا .

ومما أحسبه أنساَ لي أني حينما شرعت أقرأ حزبي من القرآن بجانبها ، وكان آيات من سورة آل عمران مررت بالآية الكريمة : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾.(آل عمران– آية ١٤٤) تلك الآية التي طالما حدثتني أن كل مصاب يهون بعد رسول الله.

رأيت فيكِ يا جدتي العطاء حتى آخر نفس ، لا تنسِ المسلمين جميعاً من دعائك وعلى أي حال كنت . تعلمت منك يا جدتي أنه من عرف قدر الله عرف الله قدره ، وشتان بين تقدير العبد وتقدير الله" .

حفيدتك

فاطمة يسرى محمد سلمان النجار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وبعد:

الحديث عن جدتي لا تسعه السطور. . .

جئتها وأنا في الرابعة من عمري ، ربتني في حجرها، وغمرتني بعطفها، وفاضت علي بحنانها، لم أشعر بفقدان الأب إلا بعد فقدانها رحمهما الله.كانت المدرسة الأولى لي ، نهلتُ منها الكثير، حيث علمتني الصبر والإيمان ، والرأفة والعفو والإحسان ، ورباطة الجأش عند الملمّات ، وجدية العلم والحرص عليه.

اعتنت بي وبذلت جهداً وحفظتني جزءً من القرآن ، وحفظتُ عنها أحاديث وقصص نبوية ، كانت مثالاً لي وقدوتي الحسنة. وما زالت مدرستي التي أتعلم منها منذ نعومة أظفاري ، حتى أخر يوم في حياتها، والحديث عنها طويل ممتد . رحمها الله وأجزل لها العطاء.

حفيدتها

ميمونة محمد سلمان النجار

بسم الله الرحمن الرحيم

لن أنسى وقع ذلك اليوم في قلبي، والذي سيبقى راسخاً في ذاكرتي طوال حياتي . صعدت إلى السيارة عائدة من المدرسة بصحبة والدي الذي حاول إخفاء ملامح وجهه الحزينة ، كان حزنه عميقاً . . والصدمة كبيرة . . لم أشعر إلا ودموعي الحارّة تسيل على وجنتي . كنت أشعر بغصة تخنقني، فقد كانت محنة شديدة لي . رحل القلب الصادق الحنون ، ورحلت تلك الابتسامة العذبة . نعم. . . لقد غابت جدتي – رحمها الله – من حياتي.

فقدت يداً حنونة كانت ترقيني دائماً، لقد كنت أشعر "ياجدتي" عندما تضعين يديكِ عليّ بالانشراح في صدري ، والعافية تسري في جسدي.كنت أشعر بدقات قلبك الصادق المخلص المليء بالعطف والحب والحنان. فقدتُ طيب أنفاسك الطاهرة.

لقد غرستِ فيَّ خصالاً حميدةً أدعو الله أن تكون في ميزان حسناتك يوم الدين ، وعلى رأس ماغرسته، حفظي – وأنا في الرابعة من عمري – بعضاً من سور القرآن ، ولكن ما أثّربي كثيرا آية الكرسي التي كنت أجد صعوبة في حفظها ، لقد حفظتيني إياها بصبرك وأسلوبك الجميل وتشجيعك الرائع لي . لا يزال صوتك العذب الحنون يرن في أذني وقلبي وأنت تنشدين لي تلك الأنشودة التي عشقتها منك :

(يا آمنة يا آمنة بشـــراكِ رب السما بالمصطفى هنّاكِ)

كنت تروين لنا أجمل القصص الرائعة والمسلية بأسلوب مشوق بديع رحمك الله ياجدتي. . .كنت تقاومين آلامك بذكر الله. . .

جدتي. . .

أبكي على فراقكِ وأرفع رأسي بكِ فخرا ، فقد كنت عالمة عابدة ، ذاكرة لله آناء الليل وأطراف النهار، مافتر يوماً لسانك عن ذكره.

كم هو صعب هذا الفراق ، لقد مضت ذكرياتك الرائعة وبقي الأثر الطيب التي تركته فينا . كنت شمعة تضيء لنا الطريق . فارقتنا بجسدك ولكن صورتك وصوتك باقيان في وجداننا، و روحك باقية بيننا .

جدتي . . .

أكتب هذه الكلمات البسيطه التي لن توفيك حقكِ، داعية لله بأن أكون الولد الصالح الذي يدعو لكِ .فليرحمك الله ياحبيبتي . . .

اللهم أنت تعلم أنها لو كانت ضيفيتي لأكرمتها، والآن هي ضيفتك فأكرمها يا أكرم الأكرمين . . .وإنا لله وإن إليه راجعون.

حفيدتك

آمنة عبد الحميد عدي

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أعرف من أين سأبدأ، ولم أكن لأتخيل نفسي في إطار هذه الحقيقة المرّة ، ولكن لا مفرَّ من القدر . فلكل أجل كتاب ، فهذه سنة الله في خلقه ، ولا اعتراض على حكم الله . لكني تأثّرت كثيراً بوفاتك ياجدتي الغالية . كم كنت تملئين حياتي . وكم اشتاق لتقبيل يديك الدافئتين التي تمنحني السعادة والطمأنينة . كم أكرمتنا في بيتك الدافىء الذي يغمره الإيمان . لم تكوني أماً حنونة وجدة رائعة فحسب ، بل كنت عالمة صالحة تربي النشء وتعلّمه.

كم كنا نجتمع حولك بلهفة وشوق لسماع أحاديثك وحكاياك المرحة . لقد كنت تدخلين السرور على قلوبنا وقلوب الأطفال جميعاً بما تكرمينا به من حلوى ونقود مباركة ، لتسعدي الأيدي الصغيرة والقلوب البرئية . كان صمتك التسبيح والتهليل ، والبسمة لم تكن تفارق ثغرك الطاهر الذي لا يعرف الغيبة أو النميمة.

لن أنساك ياجدتي. . . وستبقين نبراساً حياً في قلب حفيدتك، بل في قلوب جميع من عرفك وعرفوا هذه الشخصية العظيمة .

حفيدتك

أسماء عبد الحميد عدي

تلميذاتها يرثينها

كانت لتلميذاتها – آنس الله روحها الطاهرة – نعم الأم الفاضلة ، والمرشدة البارة دائمة التفقد والدعاء لهنّ لا تنسى أحداً منهنّ مع دعائها لأبنائها وبناتها ، متحريةً أوقات الإجابة ، تكرب لكربهنّ وتفرح لفرحهنّ ، وقد بادلوها حبّاً بحب وإخلاصاً بإخلاص ، وكم تألموا لمصابهم بها وعز على الجميع فراقها . وقد تركت أثراً طيباً في نفوسهن ، أحببن أن يعبرن عنه ، فأترك القلم لهنّ ، يسجلن بعضاً من عبراتهم وعباراتهم ، وما يختلج في فؤادهن . ففي الأثر " أنّ ألسنة الخلق شهادة الحق ". نسأل الله لنا جميعاً أن نكون موصولين بها ، وأن نسير على طريقها غير عابئين بالدنيا وكدراتها :

بسم الله الرحمن الرحيم

(أم العلماء)

الحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؛ وبعد . . .

يقول الله تعالى : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾. (الأحزاب آية ٢٣) وقال تعالى : ﴿ ليجزي الصادقين بصدقهم ﴾. (الأحزاب آية ٢٤)

إن بعضاً من المؤمنين قد اختارهم الله تعالى ، اصطفاهم واجتباهم وحباهم من بديع فضله وجوده وامتنانه ، فكانوا متمسكين بكتابه العزيز وملتزمين بسنّة النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فاقوا أقرانهم بأخلاقهم واستقامتهم وسلوكهم ، ثبتوا على الحق ولم يأبهوا لترهيب ولم يضعفوا أمام ترغيب ، قلوبهم متعلقة بربهم ، ومطمئنة بإيمان راسخ ، ممتلئة بحب الله تبارك وتعالى وحبيبه عليه الصلاة والسلام . القرآن إمامهم والسنة الشريفة نبراسهم، والحق رائدهم، فهنيئاً لهم بما هم عليه من

الحق والهدى والصدق والتقى ، وهنيئاً للإسلام بهؤلاء الأتباع الذين هم دليل الحيارى إذا ادلهمّت ظلمات الضلال ، هم الهادون المهتدون المرشدون الربانيون ، لا تزال الدنيا بخير ماداموا فيها .

مِن هؤلاء الكواكب المنيرة العالمة الجليلة ، والداعية النبيلة ، والمربية القديرة ، الوالدة الفاضلة الحاجة فاطمة ابنة الشيخ أحمد المراد – أم محمود – زوجة العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد .

تعرّفت عليها قبل أكثر من أربعين عاماً، وهي هي علماً وأدباً وخلقاً وديناً، ولم لا وهي ابنة عالم حماة وأبي علمائها الشيخ أحمد سليم المراد وزوجها العلامة الشيخ محمد الحامد رحمه الله ، فبعد أن أكرمها الله عز وجل بأنها ابنة ذاك العالم وزوجة هذا العالم تفضل عليها بأن جعل أبناءها كلهم علماء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

أخذت العلم عن أبيها وبرعت في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة وخاصة العبادات ، أما الأحكام الخاصة بالنساء فلقد بلغت فيها الذروة ، كذلك تفوقت في علم التزكية والسلوك التي أخذتها عن أبيها وزوجها رحمهما الله.

كانت نعم الزوجة ونعم الأم ، وبعد وفاة زوجها جلست للتدريس والتعليم، واجتمعت إليها طالبات العلم للاستفادة منها ، وكانت جُلَّ قراءتها في كتاب مراقي الفلاح والذي قرأته على طالباتها أكثر من أربعين مرة ، وما جلست مجلساً قط إلا تحول ذلك المجلس تلقائياً وعفوياً إلى مجلس علم ونصح وتوجيه وإرشاد ، وبلطفها المعهود كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . فإذا بدأت حديثها ينصت الجميع مستبشرين بما يسمعون من درر المواعظ وبديع الكلام وحسن البيان.

كان السخاء والكرم والبذل والجود من صميم أخلاقها .

أما عبادتها فهنيئا لها بما قدمت وبارك الله لها بما أسلفت، فوردها القرآني في اليوم والليلة ما كانت لتدعه أبداً تحت أي ظرف من الظروف ، مواظبة على الأذكار المسنونة خاصة كتاب أبيها التسبيحات)، أما الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) فكانت تعطيها الحظ الأوفر من وقتها .

وقد وفقها الله لقيام الليل وأعانها على الإكثار منه والمداومة عليه وكأنّ الآية تعنيها ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (السجدة- آية ١٦، ١٧) .

كانت – رحمها لله – اجتماعية من الدرجة الأولى وصولةً للقريب والبعيد ، لا تدع واجباً أو تهنئة أو تعزية . فإذا ما كانت تهنئة أظهرت الفرح والسرور والابتهاج ، ودعت مباركة لأصحاب الفرح . وإن كانت في عيادة مريض تطبق السنة فتؤنس المريضة وتدعو لها وتعرفها بعظم ثوابها والصبر على البلاء ، فينقلب حزن المريض فرحاً وبؤسه سعادة . وإن ذهبت للتعزية أكثرت الدعاء للمتوفى ، وواست أهله بحكمتها وفصيح عباراتها ، وتهتم ألاّ يخرج أحد عن السنة في إظهار الحزن أو رفع الصوت وغير ذلك من الأمور المنكرة التي تحدث في بعض البيوت.

تعرضت لأنواع من البلاء كثيرة ، منها عندما غادرها ابنها البكر وفارقها لمدة طويلة لظروفٍ أرغمته على ذلك ، فصبرت محتسبة . وتلى ذلك استشهاد ابنها سالم رحمه الله ، ثم اتسعت الفتنة وكثر البلاء ، وامتحن معظم أبنائها بفراقها فصبرت واحتسبت ، وكان لوفاة ابنتها (أم معاذ) ألم شديد على قلبها قابلته بالصبر والرضا والاحتساب بقولها: " إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " .

ومما امتحنت فيه أيضا صحتها، مرض في المفاصل الذي لازمها فترة طويلة وأيضا عملية القلب المفتوح ، وقد عانت الكثير من الآلام ، ونجحت والحمد لله . لكن فاجأها السكر وذلك من مضاعفات العملية ، وغير هذا مما مر عليها . وكل هذا وما كان يُسمع منها إلا الحمد والشكر والثناء على الله تعالى ، وكأن النبي (صلى الله عليه وسلم) خصها بالحديث: " لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله " . فكانت لا تفتأ تذكر الله في جميع أحوالها ، ثم شاءت إرادة الله أن تلبي نداء ربها وتستجيب لدعوته ، وذلك بإصابتها بوعكة صحية لم تمهلها فقضت نحبها رحمها الله.

اللهم ارفع درجاتها وبارك في حسناتها واجعل مقامها في أعلى عليين، واحشرها مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

كتبته في مكة المكرمة

دلال محمد منير لطفي

(أم عبد الرحمن الطبشي)

بسم الله الرحمن الرحيم

(كلمة حق)

أمي بعد أمي. . .

ببالغ الأسى والحزن بفقد الغالية أحببت أن أكتب عنها .قلت ماذا أكتب وما عسايَ أن أقول ، وعن أي جانب أتكلم من جوانب تلكم الشخصية العظيمة؟

كانت رحمها الله فقيهة تقية نقية، من سلالة العلماء الأتقياء.

تلقّيت على يدها فقه العبادات على المذهب الحنفي المتمثل في كتاب " مراقي الفلاح "، واستمعت إلى شرحها وتطبيقاتها في الواقع ، مما أفادني وأثرى معلوماتي العلمية والعملية.

هي هي ، كما عرفتها لأول وهلة ، أحسست بأنها من عصر السلف الصالح. هيبتها، بساطتها ، صدقها ، صبرها ، تقواها، كرمها . كلّما ضاقت عليّ الحياة ذهبت إليها ، وألقيت بأحمالي عندها . تسليني، تصبرني، ترقيني وتقرأ عليّ ، فأخرج من عندها وقد هدأت نفسي وزال همي وألمي.

أما الكرم فلا تسأل، فهم أهل الكرم والأدب والدين، هي وأسرتها الكريمة آل المراد وآل الحامد .

تعرّفت عليها وعلى أسرتها الكريمة منذ زمن ومنذ ذلك الحين وحتى وقت رحيلها وأنا على تواصل معها. هي أمي بعد أمي. . . كانت تستقبلني برحابة صدر، وتنسيني همومي بكلماتها العذبة التي كان ينشرح لها فؤادي ، وتقرأ عليّ وهي تمسح بحنان بالغ رأسي وصدري ، فأخرج من عندها محملةً بالحلوى والدعوات الصادقات ، وقد زالت همومي وآلامي ، وهي كذلك مع كل من قصدها .

كريمة سمحة نورانية الطلعة ، مشرقة الأسارير ، مربية فاضلة ، وأم كريمة ، وجدّة عظيمة . جعلها الله ذخراً لنا في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون. . . آمين ، وجزى الله خيراً ابنها الكريم الشيخ الأستاذ محمد أمين، وجميع أفراد الأسرة الكريمة . سائلة المولى سبحانه وتعالى أن يجعلهم خير خلف لخير سلف ، وأن يجزيهم عنّا خير الجزاء ، إنه سميع مجيب.

ابنتها

الدكتورة مكية مرزا

أستاذ مساعد في جامعة الملك عبدالعزيزبجدة

قسم الدراسات الإسلامية – تخصص كتاب وسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

أصف شعوري فأقول :

بكيت وهل بكاء القلب يجدي　　فــراق أحــبتي وحـنـين وجـــدي

فـما معنى الحياة إذا افـترقــنا　　وهل يجدي النحيب فلست أدري !

فلا الـتذكار يـرحمني فـــأنسى　　فـراق أحــبتي كــم هــزّ قـــلبــي

وحتى لقاءهم سأظل أبكي

بتسليم تام بقضاء الله وقدره ، نرضى ما قدّر ربنا علينا وعليها ، وهذا لا يمنع أبداً أن تكون الأعين باكية ، والقلوب متفطرة على فراقها ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا :إنّا لله وإنا إليه راجعون. . . وإنّا على فراقكِ يا أمنا لمحزونون. . .

عندما أمسكت القلم لأكتب عن الفقيدة الحبيبة الغالية ، شعرت بفرح وخوف . أما الفرح فأنا أتشرف أني من تلميذاتها المقربات ، وتعتبرني – رحمها الله – ابنتها الثالثة التي لم تلدها ، وهذا شرف كبير وعظيم أعتز به وأسأل الله أن ينفعني به في الدارين . وأما الخوف فلأني لست من أرباب القل، وكيف لي أن أتحدث عن هذه الأم العظيمة ، فمهما تحدثت لن أوفيها جزءًا بسيطاً من حقها .

لقد جلست بين يديها قرابة الثلاثين عاماً، أنهل من علمها، وأعجب من صدقها وتقواها . كانت معي في جميع ظروفي بقلبها ودعائها . واستني كثيراً وأحسنت عزائي بوفاة والدتي ، حيث خففت عني فقدانها وكانت لي نعم الأم بعدها . علمتنا وهذبتنا ، أمسكت بأيدينا وقادتنا لما فيه الخير والصلاح والسعادة لنا . لقد كانت صاحبة فضلٍ كبير علينا في كلّ صغيرة وكبيرة في حياتنا .

أسأل الله أن يغفر لها ويرحمها ويجعل قبرها روضة من رياض الجنة. ويجمعنا بها في أعلى الجنان مع الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، إنه سبحانه الكريم المتفضل المنان.

ابنتها المحبة

زكاء نجم الزعيم

(أم محمد الزعيم)

جدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن الحديث عن التضحية والصبر والثبات ليبعث في نفوسنا معاني الحب والأمل والعطاء . لقد كانت الأم الحنونة ، والمربية العظيمة التي لها دورا كبير في حياتنا . لقد من الله علي بفضله إذ كنت إحدى تلميذاتها الأول في دار الغربة حيث أني خرجتُ من البلد الأم سوريا إلى مكة وأنا في ريعان شبابي ، وكنت حديثة عهد بالزواج ، فالتقيت بها أول مرة في بيتها في مكة مع مجموعة من الأخوات الفاضلات ، ومن حينها لم أفارقها أبداً . تعلمت منها الكثير من علوم الفقه والحديث والقرآن والقصص والتجارب التي مرت عليها في حياتها، والتي قرأتها من الكتب ، مما يفيض علينا من خيري الدنيا والآخرة ، والتي تمنحنا الإيمان والقوة والصبر والثبات في هذه الحياة.

كانت تبالغ في شرح الفقه مرات ومرات حتى يُفهم، وكانت تصحح أخطاء قارئ الكتاب من غير أن تنظر إلى الكتاب حيث إنها حفظته عن ظهر قلب منذ صغر سنها . وكانت صبورة وحليمة على كثرة الأسئلة من الأخوات . وأكثر ما كانت تحثنا عليه المداومة على تلاوة القران والأوراد اليومية وخصوصا (التسبيحات) التي ألفها والدها الشيخ العلامة أحمد ابن سليم المراد، وعلى طاعة الزوج لأنه محور حياتنا التي فيها سعادتنا . وكانت دائماً تكرر (إن أكثر أهل النار من النساء)، لأنهنّ يكفرن العشير (أي ينكرنَ المعروف الذي يقدمه لهنّ الزوج لذنب واحدٍ فعله) . وتحثنا أيضاً أن لا تنام الزوجة وزوجها غاضب عليها لأن الملائكة تلعنها، ومن يُلعن يُطرد من الرحمة والعياذ بالله . هذا ويطول الحديث عن الأم الجليلة التي فقدناها والتي تألمنا كثيرا لفراقها ، فهذه

السطور القليلة لا تكفي لوصفها ، ولكم أتمنى أن تؤلف لها كتب قيمة لما لها من دور كبير في حياتنا .رحمها الله رحمة واسعة ، وجمعنا بها في أعلى عليين.

والحمد الله رب العالمين.

جـدة

ابنتها المخلصة

رحاب عبدالقادر الحامد

(أم أيمن سريحيني)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قد أفلح المؤمنون ¤ الذين هم في صلاتهم خاشعون ¤ والذين هم عن اللغو معرضون ¤ والذين هم للزكاة فاعلون ¤ والذين هم لفروجهم حافظون ¤ إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين ¤ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ¤ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ¤ والذين هم على صلواتهم يحافظون ¤ أولئك هم الوارثون ¤ الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) . (سورة المؤمنون- الآيات من ١- إلى-١١ .) .

أسكنك الله الفردوس الأعلى يا أمنا الحبيبة ، يا أمنا الرؤوم ، يا مَن عشتِ حياة مليئة بالجهاد والصبر والدعوة والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كنتِ القدوة الأمثل قبل أن تكون المعلمة الأكمل ، وكنتِ المربية الفاضلة في هيئتها وأدبها واخلاقها وتعاملها . تعلمت منك الصبر وفنونه ، وتعلمت منك الجهاد وعلومه ، وتعلمت الحلم والأناة والخلق الرفيع وكرم الضيافة كل من طرق بابك وجلس ومجلسك تضفي عليه الفضائل والجود والكرم ، تزكّيه بالنفس الزكية التي تزخر بالفقه والعلم ، وتبحر في بحر التواضع وميراث النبوة التي تربيت ونشأت عليها في بيت العلم منذ نعومة أظفارك في بيت والدك – رحمه الله رحمة واسعة – العالم الجليل أحمد سليم المراد ، ثم انتقلت إلى بيت زوجك الشيخ محمد الحامد – رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى – بيت العلم والدين والخلق ، فكنت البنت البارّة ، والزوجة الوفية الحنون الصادقة ، التي تعلمنا منها كيف تكون الحياة الزوجية الحقة . فبيتك بيت القرآن والفقه والحديث، تحفه الملائكة وتنزل عليه السكينة وتغشاه الرحمة و ذكرهم الله فيمن عنده . لقد عشتِ لتعيشِي هموم من حولك لا لنفسك وأسرتك فحسب، فقلبك الكبير اتسع لجميع من قصدك وجلس مجلسك، فلا أنسى يوم جئتك بعد رؤيا أن آتيكِ لتقرئي علي القرآن ، أتيتك فضممتني كالأم الرؤوم ، وخففتِ آلامي وانتابني شعور أنني بين أهلي وأحبابي.

وإني لا أملك إلا أن أقول ما قاله صلى الله عليه وسلم حين رثى ولده إبراهيم (إن العين لتدمع وإن القلب ليخشع وإنا على فراقكِ يا أم محمود لمحزونون) .

دمع العين ، وجزع القلب ، وشدة الحزن ، وألم الفراق ، نحتسبهم جميعاً لكِ في صفحات أيامك المضيئة وفي ميزان حسناتك شاهدة لكِ ، داعية المولى أن تكوني في أعلى درجات الجنان إنه سميع قريب مجيب.

ومهما كتبت من عبارات فلن أوفيكِ فضلكِ بكلمات تلقي أوصفات ومشاعر وأحاسيس تهدى ، فالصالحون يتركون أثراً طيباً أينما حلّوا حاملين راية الإسلام دعوة له وجهاداً في سبيله ، وسعياً في الخير ومحاربة للشر ، وانتصاراً للسنة وبعداً عن الدنيا .

رحم الله شيختنا رحمة واسعة وجزاها الله عنّا خير الجزاء وجعلها ترتع في رياض الجنة. ومما يخفف عنا فقد الأحبة ما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث قال : " إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ". أدعو الله أن نلقاك في أعلى عليين مع النبيين والشهداء والصالحين . وأسأل الله تعالى أن يجزيها ويجزي من علمنا العلم النافع عنّا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وأن يرزقنا مرافقتهم في الجنة، ويرحمهم رحمة واسعة ، وأن ينزلهم منازل الأبرار والصديقين الأخيار ، ويحشرنا معهم تحت لواء نبينا محمد صلى الله وسلم ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ويجمعنا بهم في الفردوس الأعلى.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

ندى السراقبي

(أم عبد الرحمن الراعي)

سيرة عطرة لأستاذتنا وأمنا الحبيبة فاطمة أحمد المراد رحمها الله.

فُجعت كما فجع الكثيرون برحيل الأستاذة العالمة والأم الحنون فاطمة أحمد المراد تغمدها الله برحمته وأسكنها فسيح جنته.

لقد كانت نعم المعلمة والموجهة الحكيمة والمربية الحليمة، تركت في نفوسنا جميعاً آثاراً باقية ، معرفة وبياناً، سلوكاً وتربيةً ، كيف لا وقد أوقفت نفسها على تعاليم الدين قولاً وعملاً وتطبيقاً، كانت رحمها الله شديدة الصبر والثبات في الشدائد والنوازل متسلحة بسلاح الإيمان وعدة اليقين ومراكب الصبر ، وزاد التقوى بعزم حديد وقلب واثق ونفس مطمئنة. على جانب كبير من التواضع والإخلاص ، دائمة الابتسامة تغمر كل من قصدها بالحب والترحاب ، مدرسة في الأخلاق تعلمنا منها الكثير ، كانت تسعى دائماً إلى ترسيخ الإيمان في القلوب وتطهير الأخلاق في السلوك ، وتصحيح المفاهيم في العقول ، فرحمها الله رحمة واسعة.

إنه من المجحف أن أوجز هذه الإنسانة العظيمة في كلمات معدودات ، لكن حسبي أن تبقى ذكراها العطرة خالدة في قلوبنا جميعاً، ولن نفتأ ماحيينا أن ندعو لها بالرحمة والغفران ، وأن يتقبلها في الصالحين ، وأن يجزيها عن العلم والأمّة والدين خير ما جزى به العلماء المخلصين والدعاة الصادقين.

جـدة

آمنة عبد الرحمن نور ولي

(أم أسامة نور ولي)

* ختاماً:

عذراً منك يا جدتي أني بهذه العجالة ، لم أوفيكِ حقكِ ، فهذا جهد المقلّ ، وغيضٌ من فيض ، فالحديث عنكِ طويلٌ ممتد .

نسأل الله تبارك وتعالى لها أن تكون ممن قال سبحانه فيهم : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ¤ والذين يبيتون لربهم سجّداً وقياماً ¤ أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً ¤ خالدين فيها حسنت مستقراًومقاما ﴾. (الفرقان –الآيات ٦٣، ٦٤، ٧٥، ٧٦)

فسلام الله عليكِ وعلى روحكِ الطاهرة يا جدتي ومربيتي الفاضلة ، يوم ولدتِ ويوم مُتِّ يوم تبعثين حيَّة . طبتِ وطابَ مثواكِ وجعل الفردوس مأواكِ . ونورالله ضريحكِ ورضي عنكِ وأرضاكِ . أشهدك يا ربِّ أني فيك أحبها، ولا يعزيني في فقدها إلا ما قالته الصحابية الجليلة رضي الله عنها لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "كل مصاب يهون بعدك يا رسول الله" .

فيا رحمة الله حيّي روحها أبداً عنّي وظلي وباتي حيثما قُبِرَت

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

حفيدتك المحبة

عائشة "محمد سلمان" النجار

مـراجـع الكـتـاب

١. العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد، للشيخ عبد الحميد طهماز. دار القلم دمشق- الطبعة الرابعة ١٩٩٥ م .

٢. أبي كما عرفته، للشيخ محمود الحامد. تحت الطباعة.

٣. إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد الغزالي. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٨٦ م .

٤. التصوف بين الإفراط والتفريط .د.عمر عبدالله كامل دار ابن حزم – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ٢٠٠١ م .

٥. سيرة الشيخ أحمد المراد، للأستاذ ميسر المراد – لم تنشر بعد –

٦. مجلة المجتمع العدد ١٨٩٣ بتاريخ ٢٧ ربيع الأول ٣ ربيع الآخر ١٤٣١هـ (١٣ –١٩ مارس ٢٠١٠م) السنة (٤٠) .

٧. المحامد ، للشيخ عبد الحميد طهماز.

٨. من أعلام الطريقة النقشبندية في بلاد الشام المباركة ، للشيخ محمد زكريا المسعودي. فصلت للدراسات والترجمة والنشر حلب سوريا الطبعة الأولى ٢٠٠٩ م .

٩. جلسات وحوارات مع جدتي - رحمها الله -

الحاجة فاطمة المراد ، ووالدتي وأخوالي حفظهم الله.

فـهرس

الموضوع **رقم الصفحة**

– تمهيد .

الفصل الأول :

– اسمها .

– ولادتها ومدينتها .

– لمحة عن عائلة المراد .

– الشيخ محمد سليم المراد .

– الشيخ محمد علي بن الشيخ سليم المراد .

– الشيخ أحمد بن الشيخ سليم المراد . (نشأته وتربيته ، أخلاقه وصفاته ، علمه ، سلوكه وهديه ، كراماته ، وفاته) .

– نشأة جدتي.

الفصل الثاني :

– زواجها .

– زوجها العلامة الشيخ محمد الحامد . (ولادته ومنشؤه ، نشأته العلمية ، الصوفي المدقق والباحث المحقق ، حياته الدعوية والتربوية وحرصه على نشر العلم ، نشاطه العلمي ، جهاده ، نظامه التعبدي واليومي ، أخلاقه وصفاته ، ورعه وتقواه كما رواه أهله وتلامذت، علاقته ببيته وأسرته ، مرضه ووفاته) .

- أولادها والتعريف بهم.

- حياتها الزوجية والأسرية.

- أصهارها والتعريف بهم.

- علاقة خاصة بين الشيخ ومريده.

الفصل الثالث :

- حياتها العلمية.

- حياتها الدعوية.

- إيمانها العميق.

- الثبات والصبر في المحن.

- برنامجها اليومي وأورادها .

- صفاتها وسلوكها .

- توجيهها التربوي لنا .

- لطفها وحنانها .

- دورها الاجتماعي.

مرض الوفاة :

- مرض الوفاة.

- ليلة الوفاة.

- ومضات وإضاءات.

- مبشرات.

- الرؤى التي روئيت بعد انتقالها إلى جوار ربها .

الفصل الخامس :

- رثاء حفيداتها لها .
- تلميذاتها يرثينها .
- خاتمة.
- المراجع.
- الفهرس

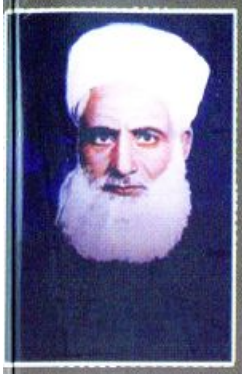

العلامة
محمد الحامد

يحكي هذا الكتاب سيرة عالمة...
وريثة علم وسليلة دوحة من العلماء...
حفيدة عالم وابنة عالم وزوجة عالم...
عاشت حياتها كصحابية بمعطيات هذا العصر...
بذلت حياتها لغيرها لا لنفسها...
ذكرتنا بأسماء، والخنساء، وعروة بن الزبير...
جهابذة الخير...
كانت بلسماً للعليل...
وسلوى للحزين...
أحبتها الأرواح لحنانها وإخلاصها...
واجتمعت عليها القلوب لصفائها...
روح تحلّق في الملكوت وجسد طاهر يمشي بين الناس...
ولم أقصد من سرد سيرتها رواية قصة فحسب؛
فهناك الكثير من القصص المؤثرة.
ولكن لنتعرف كيف يكون نموذج المرأة المسلمة الربانية الصادقة،
ونهجها في بيتها وأسرتها ومجتمعها، وفي صبرها وطاعتها لربها.
ثم لنقتفي أثرها،
ونكون على دربها في رضى الله،
واتباع هدي نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام،
لنكون جميعاً معها إن شاء الله من الذين قال الله تعالى فيهم :
(رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْه ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّه)
صدق الله العظيم

المؤلفة